سلم برنامج الرسوخ في العلم ١٠

مساق علوم القرآن ٣

المهذب في علوم القرآن



تأليف

د. طالب بن عمر بن حمدة الكثيري

المهذب في علوم القرآن



- **اسم الكتاب:** المهذب في علوم القرآن
- **اسم المؤلف:** د. طالب بن عمر بن حيدرة الكثيري
- **عدد الصفحات:** ١٥٢
- **المقاس:** ١٧.٥ X ٢٥

حقوق الطبع ممنوحة لكل مسلم

الطبعة الأولى

1445 هـ — 2023م

لطلب الكتاب ملف pdf :

موقع الشيخ: http://www.talebkh.net

التواصل بالرقم: ٧٧٣٠٢٣٨٦١ - ٧٧٥٠١٣١٣٦

المهذب
في علوم القرآن

تأليف

د. طالب بن عمر بن حمدة الكثيري


بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام علىٰ سيد المرسلين، وبعد: فقد جاء هذا الكتاب ليجمع المهمّ من مباحث ومسائل علوم القرآن، مبيّنًا لقواعده بالأمثلة الواضحة، ومجليًّا للخلاف في مسائله بالأدلة الظاهرة، جمعته قصدًا لجمع شتات ما تفرّق من هذا العلم في كتب أهله؛ ليكون خلاصةً لما كتبوه، وتحريرًا لما نثروه، مستكملاً مباحثه الأساسية:

١- من جهة تلقيه: من نزوله، إلىٰ مباحث جمعه وتدوينه، إلىٰ كتابته ورسمه، إلىٰ قراءته وطرق أدائه، ثم مباحث تفسيره، ومناهج مفسريه، ثم أحكامه.

٢- ومن جهة أساليبه: باستعراض مقاصد الأساليب المتكررة فيه؛ كالقصص، والأمثال، والأقسام، والجدل والمناظرة، والتفكر.

وقد جعلتُه في آخر سلسلة الرسوخ في العلم، المتعلقة بسلم علوم القرآن وتجويده، والله أسأل أن ينفع به، ويجعله له خالصًا، ولي شافعًا، ولعباده نافعًا؛ إنه أقرب مسؤول، وأكرم مأمول.

وكتبه طالب عفو ربه ذي المغفرة:

طالب بن عمر بن حيدرة

١٧ ربيع أول ١٤٤٥هـ



التعريف بعلم (علوم القرآن) ونشأته

التعريف بعلم (علوم القرآن):

علوم القرآن: علمٌ يُعرّف بتعريف جزئيه، ولقبه، فأما العلوم: فجمع علم، وهو إدراك الشيء: يقينًا أو ظنًّا، سواء أدركه علىٰ ما هو عليه، فعلمه صحيح، أو علىٰ غيره، فعلمه غير صحيح، ومنهم من خصّه بإدراك الشيء علىٰ ما هو عليه إدراكًا جازمًا، وأما القرآن فيأتي معنا قريبًا معناه.

وعلوم القرآن كلقب، اختلف في تعريفه على ثلاثة اتجاهات:

الاتجاه الأول: أن أيّ معلومة في القرآن هي من علومه؛ لذا ذهب الغزالي (٥٠٥هـ)، وتبعه ابن العربي (٥٤٣هـ) أن علوم القرآن أكثر من سبعين ألف علم، بل كل كلمة في القرآن تضرب في أربعة، فلها علم ظاهر وباطن، وحدّ، ومقطع!

الاتجاه الثاني: أن أيّ علم ذُكِر في القرآن هو من علومه، فمنه علم الطب والزراعة وعلوم الأرض والنجوم، وعلم السحر، وكذا علم الحساب؛ لقوله تعالىٰ: ﴿فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ ﴿١١٣﴾﴾ [سورة المؤمنون: ١١٣].

الاتجاه الثالث: أنه المباحث المتعلقة بالقرآن الكريم، من جهة تلقيه وأساليبه.

فيدخل في جهة تلقيه:

٣- مباحث نزوله، ومنها أسباب النزول، وأول ما نزل وآخره، والمكي والمدني، والأحرف السبعة، وغيرها.

٤- مباحث جمعه، وتدوينه، وردّ الشبهات المتعلقة بذلك.

٥- مباحث كتابته، ورسمه، وما يتعلق بما استجدّ بعد ذلك، من مصطلحات ضبطه، وترجمة معانيه.

٦- مباحث قراءته، ووجوه الأداء والقراءات، والوقف والابتداء، وآداب تلاوته، وفضائل سوره وآياته.

٧- مباحث تفسيره، وما يتعلق بها من قواعد التفسير والترجيح، وتفسيره بالمأثور وبلغات العرب.

٨- مباحث أحكامه، والاستنباط منه، وما يتعلق بها من مباحث أصول الفقه، كالعموم والنسخ، والمحكم والمتشابه.

ومما يدخل في أساليبه: ما تكرّر عرضه في القرآن حتىٰ صار له طابع خاص، كالقصص، والأمثال، والأقسام، والجدل والمناظرة، والتفكر.

ومنه يتضح أن أصول التفسير أخصّ من علوم القرآن؛ لأنها مبحث من مباحثه، وكل علم لا يفيد في معرفة معنىٰ الآية، فهو من علوم القرآن، وليس من علم أصول التفسير، كعلم الآي، وفضائل السور.

نشأة علم (علوم القرآن):

وقد نشأ هذا العلم من خلال مراحل:

١- أولها سؤالات الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن صفة نزول الوحي، فكانت بداية نشأة علم النزول، وأمره لهم بكتابته، فنشأ علم كتابة القرآن، ثم سؤالاتهم عن كيفية قراءة آية، أو معناها.

٢- ثم انتشر هذا العلم في مقدمات تفاسير العلماء، أو في تضاعيفها، وقد جعل الأدْفوي (٣٨٨هـ) كتابه (الاستغناء في تفسير القرآن الكريم) في نثر كثير من علوم

القرآن تحت كل آية منه، فيتكلم عن غريب معنىٰ الكلمة، وتصريفها، وإعرابها، وقراءاتها، والتفاسير المروية فيها، وأحكامها، والوقف والتمام، وأين نزلت السورة، وهكذا من علوم القرآن.

٣- وجاءت قبل ذلك أو بعده كتابات متخصصة في بعض مباحث هذا العلم، كـ(فضائل القرآن) لأبي عبيد القاسم بن سلام (٢٢٤هـ)، و(الناسخ والمنسوخ) لأبي جعفر النحاس (٣٣٨هـ)، و(التبيان في إعراب القرآن) للعكبري (٦١٦هـ).

٤- ثم جاء أول كتاب في علوم القرآن معنىً دون العنوان، وهو كتاب (فهم القرآن) للحارث المحاسبي (٢٤٣هـ)، ثم كتاب (جمال القرّاء وكمال الإقراء) للسخاوي (٦٤٣هـ)، ثم تلاهما عنوانًا ومعنىٰ كتاب (البرهان في علوم القرآن للزركشي) (٧٩٤هـ)، و(الإتقان في علوم القرآن) للسيوطي (٩١١هـ)، وقد توسع فيه، وذكر ما يقرب من ثمانين مبحثًا.

٥- ثم جاءت الكتابات الجامعية لطلاب الجامعات المعاهد، ككتاب (مناهل العرفان) للزرقاني (١٣٦٧هـ)، وقد كتبه لطلاب كليات الأزهر، و(مباحث في علوم القرآن) للدكتور صبحي الصالح (١٤٠٧هـ)، وقد كتبه لطلاب كليات دمشق، وآخر لمناع القطان (ت١٤٢٠هـ) كتبه لطلاب الجامعات السعودية، ومنها رسالة العلامة العثيمين (ت١٤٢١هـ) لطلاب المعاهد العلمية.

٦- ثم جاءت الكتابات المتخصصة في مبحث واحد من مباحث علوم القرآن، ككتاب (الظاهرة القرآنية) لمالك بن نبي، و(النسخ في القرآن) للدكتور مصطفىٰ زيد، و(الإعجاز البياني للقرآن) للدكتورة عائشة بنت عبد الرحمن.

٧- وللمستشرقين بعض الكتابات في هذا الجانب، من أشهرها: (تاريخ القرآن) للمستشرق الألماني تيودور نولدكه، و(التوراة والإنجيل والقرآن والعلم) للمستشرق

الفرنسي موريس بوكاي، وقصد فيه أن ينظر إلىٰ ما جاءت به الكتب المقدسة في ضوء المعارف العلمية الحديثة.

هذا جملة ما يتعلق بمعنىٰ هذا العلم ونشأته.



معنى القرآن والوحي

معنى القرآن لغةً:

اختلف العلماء في أصل كلمة القرآن في اللغة، هل هو مشتق أو لا؟ على قولين:

الأول: أنه مشتق، ثم اختلفوا هل هو مشتق من فعل مهموز أو لا؟ علىٰ قولين:

الأول: أنه مشتق من فعل مهموز، هو قرأ، ثم اختلفوا في معناه علىٰ قولين:

الأول: قرأ بمعنىٰ جمع، وهو قول الزجاج، ومنه: قرأ الماء في الحوض، إذا جمعه، فالقرآن اسم فاعل؛ أي الجامع لثمرات الكتب السابقة، والجامع للأخبار والأحكام، أو من اسم المفعول، أي المجموع؛ لأنه مجموع في الصدور والسطور.

والثاني: أن معنىٰ قرأ تلا، وهو قول اللحياني، فهو قرآن من اسم المفعول، تسمية للمفعول بالمصدر؛ أي مقروء ومتلو.

وقيل: مشتق من فعل غير مهموز، هو قرن، وعليه فالنون أصلية، وهكذا قرأ ابن كثير، واختلفوا في معناه علىٰ قولين:

الأول: قرن من القرائن، وهو قول الفراء؛ لأنه كل آية قرينة علىٰ صدق غيرها.

والثاني: من قرن؛ أي جمع، وهو قول الأشعري، من قرن الشيء بالشيء، إذا ضمّه إليه؛ لأن السور والآيات تقرن فيه، ويضم بعضها، ومنه جمع العمرة والحج في نسك واحد يسمىٰ قِران.

وقيل: هو غير مشتق، وإنما هو اسم مرتجل، وُضِع خاصًّا بالقرآن، كاسم التوراة والإنجيل؛ بدليل أنه لو أخذ من قرأت - ونحوه - لكان كل ما قرئ يسمىٰ قرآنًا، وأجيب: بأنه مشتق، وهو علم علىٰ القرآن بالغلبة.

ويقوي القول بأنه مأخوذ من القراءة قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾﴾ [سورة القيامة:١٧-١٨]، وهو بمعنىٰ المتلو، كقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ﴾ [سورة يونس:٦١].

معنى القرآن اصطلاحًا:

القرآن اصطلاحًا: هو كلام الله الذي أنزله جبريل علىٰ النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ المتعبد بتلاوته.

فدخل بقولنا: (كلام الله) جميع كُلامه سبحانه للملائكة ولغيرهم، وخرج قولُ مَن قال إنه عبارة عن كلامه، أو إنه كلام غيره عزّ ربنا.

وبقولنا: (الذي أنزله جبريل) الحديثُ القدسي الذي ألقي في روع النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وكلامه تعالىٰ الذي استأثر بعلمه، كقوله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾﴾ [سورة لقمان:٢٧].

ومن الفروق بين القرآن والحديث القدسي أيضًا: أنّ القرآن يتعبد بتلاوته، ولا ينقل إلا متواترًا، وأن معناه ولفظه من الله تعالىٰ؛ لذا هو معجِز وقع التحدي به، ولا يروىٰ بالمعنىٰ، بخلاف الحديث القدسي.

وأما ما جاء في صحيح مسلم عن أنس بن مالك رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنه قال: بينا رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ذات يوم بين أظهرنا؛ إذ أغفىٰ إغفاءةً ثم رفع رأسه متبسمًا، فقلنا: ما أضحكك يا رسول الله؟ قال: «**أنزلت عليَّ آنفًا سورة**»، فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴿٢﴾ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ﴿٣﴾﴾ [سورة الكوثر:١-٣]، فإن هذه الإغفاءة ليست إغفاءة نوم، بل لعلها الحال التي تأتيه عند الوحي حيث يصيبه صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ثقل في الجسم، وتفصد العرق ونحوه، والله أعلم.

وخرج بقولنا: (علىٰ النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ) ما نزل علىٰ إبراهيم موسىٰ وداود وعيسىٰ، فلا يسمىٰ قرآنًا بالمعنىٰ الخاص.

ويطلق القرآن بالمعنىٰ العام علىٰ كل كتاب قرأه نبي، كما في حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ أن النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ قال: «**ما أذِن الله لشيء ما أذِن لنبي حسن الصوت، يتغنىٰ بالقرآن، يجهر به**» متفق عليه.

وخرج بقولنا: (المتعبد بتلاوته) ما نُسخ من القرآن، فإنه لا يتعبد به، وكذا القراءات الشاذة المخالفة لرسم المصحف.

وهو المكتوب بين دفتي المصحف، المبتدأ بالفاتحة، والمختتم بالناس، لم يتبدل ولم يتغير؛ لأنه محفوظ بحفظ الله عَزَّوَجَلَّ، وهو ذاته المكتوب في اللّوح المحفوظ، كما قال الله تعالىٰ: ﴿بَلۡ هُوَ قُرۡءَانٞ مَّجِيدٞ ٢١ فِي لَوۡحٖ مَّحۡفُوظِۭ ٢٢﴾ [سورة البروج:٢١-٢٢] **وفي الكتاب المكنون** كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ٧٧ فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ ٧٨ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ٧٩﴾ [سورة الواقعة:٧٧-٧٩]، وفي الصّحف المكرّمة، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿كَلَّآ إِنَّهَا تَذۡكِرَةٞ ١١ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ١٢ فِي صُحُفٖ مُّكَرَّمَةٖ ١٣ مَّرۡفُوعَةٖ مُّطَهَّرَةِۭ ١٤ بِأَيۡدِي سَفَرَةٖ ١٥ كِرَامِۭ بَرَرَةٖ ١٦﴾ [سورة عبس:١١-١٦].

وكذا الجزء منه كآية أو نحوها يسمّىٰ (قرآنًا)، كما قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلۡقُرۡءَانُ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ٢٠٤﴾ [سورة الأعراف:٢٠٤]، أي إذا قرئ بعضه.

وعقيدة أهل السنة والجماعة في القرآن:

١ - أنه كلام الله منزل غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود.

٢- أنه كلام الله: حروفُه ومعانيه.

٣- أن الله عَزَّوَجَلَّ تكلّم به حرفًا ومعنىٰ، فسمعه جبريل عَلَيۡهِٱلسَّلَامُ من الله تعالىٰ، ثم نزل به إلىٰ محمد صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، فسمعه محمد صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ من جبريل عَلَيۡهِٱلسَّلَامُ.

أسماء القرآن وصفاته وعظمته :

۞ من أسماء القرآن :

١- الكتاب، قال تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ﴾ [سورة البقرة:٢].

٢- الذكر، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ٩﴾ [سورة الحجر:٩].

٣- الفرقان، قال تعالىٰ: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ١﴾ [سورة الفرقان:١].

٤- التنزيل، قال تعالىٰ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٩٢﴾ [سورة الشعراء:١٩٢].

۞ ومن صفات القرآن :

١- أنه نور ومبين، قال تعالىٰ: ﴿قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ١٥﴾ [سورة المائدة:١٥].

٢- أنه مبارك، قال تعالىٰ: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢٩﴾ [سورة ص:٢٩].

٣- أنه تبيان وهدىٰ ورحمة وبشرىٰ، قال تعالىٰ: ﴿وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ٨٩﴾ [سورة النحل:٨٩].

٤- أنه مجيد عظيم الشرف، وكريم كامل الصفات، قال تعالىٰ: ﴿بَلۡ هُوَ قُرۡءَانٞ مَّجِيدٞ ٢١﴾ [سورة البروج:٢١]، وقال: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ٧٧﴾ [سورة الواقعة:٧٧].

۞ ومن أهمية القرآن وعظمته :

١- أنه صراط الله المستقيم، وحبله المتين، من تمسك به نجا.

٢- وأنه مصدر التشريع مع السنة النبوية.

٣- أن فيه الهداية العلمية لأقوم السبل، والموعظة الإيمانية العملية الموصلة لخشية الله تعالىٰ.

٤- أنه صدّق الكتب التي قبله فيما جاءت به من عقائد، ونسخ أحكامها، قال تعالىٰ: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ﴾ [سورة المائدة:٤٨].

آداب تتعلق بالقرآن الكريم:

۞ ومن الآداب المتعلقة بالقرآن:

١- ألا يمسه إلا طاهر؛ لحديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**لا يمس القرآن إلا طاهر**» أخرجه الطبراني.

٢- أن يُرفع، ويُطهّر من الدنس والقذر، ويُجلّ؛ لقوله تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ ۖ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾﴾ [سورة الحج:٣٢].

٣- ولا يسافر به إلىٰ أرض العدو؛ لئلا يقع بأيديهم، فيهينوه، إلا إذا أمِنَ عليه من ذلك؛ لحديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «نهىٰ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يسافر بالقرآن إلىٰ أرض العدو» متفق عليه، وفي رواية لمسلم: «**لا تسافروا بالقرآن؛ فإني لا آمن أن يناله العدو**».

٤- وأن يكثر من تلاوته، وتدبره، ويستعيذ قبل قراءته، ويتغنىٰ به، ويلتزم بأحكام قراءته، قال تعالىٰ: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾﴾ [سورة المزمل:٤].

معنى الوحي:

وقد يطلق علىٰ القرآن اسم الوحي، والوحي في اللغة: الإعلام السريع الخفي، وشرعًا: ما أنزله الله علىٰ أنبيائه من شرائعه بواسطة أو بغير واسطة.

ويأتي في القرآن علىٰ ستة استعمالات:

١- بمعناه الاصطلاحي، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ﴾ [سورة النساء:١٦٣].

٢- بمعناه اللغوي، قال تعالىٰ: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١١﴾﴾ [سورة مريم:١١].

٣- الإلهام الفطري للإنسان، قال تعالىٰ: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ [سورة القصص:٧].

٤- الإلهام الغريزي للحيوان، قال تعالىٰ: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [سورة النحل:٦٨].

٥- ما يلقيه الله علىٰ ملائكته من أوامره، قال تعالىٰ: ﴿إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [سورة الأنفال:١٢].

٦- وسوسة الشيطان، قال تعالىٰ: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ﴾ [سورة الأنعام:١٢١].

كيفية نزول الوحي:

وصور إتيان الوحي للنبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ثلاث:

قال تعالىٰ: ﴿* وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾﴾ [سورة الشورى:٥١].

فالأول: الوحي بما يقذفه الله في قلبه، ولا يشك أنه من ربه، ومنه الرؤىٰ الصالحة، كما في حديث عائشة أم المؤمنين رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا أنها قالت: «أول ما بدئ به رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرىٰ رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح» متفق عليه.

ومن صوره ما يقذف الملك في رُوعه، كما في حديث حذيفة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عن النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أنه قال: «**هذا رسول رب العالمين، جبريل عَلَيْهِٱلسَّلَامُ نفث في روعي أنه**

لا تموت نفس حتىٰ تستكمل رزقها، وإن أبطأ عليها، فاتقوا الله، وأجملوا في الطلب»، أخرجه البزار.

والثاني: الكلام الإلهي من وراء حجاب يقظة بلا واسطة، كما ثبت لرسولنا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليلة الإسراء والمعراج.

والثالث: سماع جبريل المنزل إليه بالوحي، وله صور، كما في حديث عائشة أم المؤمنين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا أن الحارث بن هشام رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ سأل رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: يا رسول الله، كيف يأتيك الوحي؟ فقال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أحيانًا يأتيني مثل صلصلة الجرس، وهو أشده عليّ، فيفصم عني، وقد وعيتُ عنه ما قال، وأحيانًا يتمثل لي الملك رجلًا، فيكلمني فأعي ما يقول**»، قالت عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد، فيفصم عنه، وإن جبينه ليتفصد عرقًا. متفق عليه.

وصلصلة الجرس: هي صوت الحديد إذا وقع بعضه علىٰ بعض، وتطلق علىٰ كل صوت له طنين، والمشبّه هنا صوت الملك بالوحي.

وأكثر ما يأتي جبريل في صورة دحية الكلبي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

ومنه: أن يرىٰ الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جبريل علىٰ صورته التي خُلِق عليها، ولم يحصل هذا إلا مرتين.

والقرآن كله نزل بهذه الطريقة، تكلّم الله به، وسمعه جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ من الله عَزَّوَجَلَّ، وبلّغه جبريل لمحمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال تعالىٰ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾﴾ [سورة الشعراء:١٩٢-١٩٤]، وقال تعالىٰ: ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ﴾ [سورة النحل:١٠٢].

صفة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا نزل عليه الوحي:

وكان من صفته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **إذا نزل عليه الوحي:**

١- أن يجد منه شدة، وأن يحرك شفتيه، قال تعالىٰ: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾﴾ [سورة القيامة:١٦-١٧]، وقال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعالج من التنْزيل شدة، وكان مما يحرك شفتيه، فقال ابن عباس: فأنا أحركهما لكم كما كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يحرّكهما» متفق عليه.

٢- يغفو إغفاءةً تعروه فجأة، ويسمع له غطيط، وتنقضي في لحظات يسيرة، فعن صفوان بن يعلىٰ بن أمية عن أبيه «أن رجلًا أتىٰ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو بالجعرانة، وعليه جبة، وعليه أثر الخلوق - أو قال: صفرة -، فقال: كيف تأمرني أن أصنع في عمرتي؟ فأنزل الله علىٰ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فستر بثوب، ووددت أني قد رأيت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقد أنزل عليه الوحي، فقال عمر: تعال أيسرك أن تنظر إلىٰ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقد أنزل الله عليه الوحي؟ قلت: نعم، فرفع طرف الثوب، فنظرت إليه له غطيط، - وأحسبه قال: كغطيط البكر - فلما سُرّي عنه قال: أين السائل عن العمرة؟ اخلع عنك الجبة، واغسل أثر الخلوق عنك، وأنق الصفرة، واصنع في عمرتك كما تصنع في حجك» متفق عليه، وهذا الحديث في غير نزول القرآن.

٣- أن يعلوه الكرب، ويتفصد عرقًا في اليوم الشاتي، كما في حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «حتىٰ أنزل عليه الوحي، فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء، حتىٰ إنه ليتحدر منه مثل الجمان من العرق في يوم شات» متفق عليه، والبرحاء: العرق أو الكرب.

٤- أن يثقل جسد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال زيد بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «فأنزل الله علىٰ رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وفخذه علىٰ فخذي، فثقلت عليّ حتىٰ خفت أن ترض فخذي، ثم سُرّي عنه» أخرجه البخاري.

ومَن تأمل قصة نزول الوحي أدرك بها الرد المفحم علىٰ كل أفّاك يدّعي أن الوحي من اختلاق رسولنا صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، أو من تعليم بشر له، ومن ذلك:

١- فترات انقطاع الوحي، وفتور نزوله، مع محبة النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ له، أو حاجته لنزوله، كما في انقطاعه شهرًا بعد حادثة الإفك.

٢- تأخّرُ إجابته لما يحبّ، كتحويل القبلة من استقبال بيت المقدس إلىٰ استقبال الكعبة المشرفة بمكة، وقد كان ينتظر ذلك زمنًا، ويقلب بصره في السماء؛ رجاء التحويل.

٣- عتاب القرآن له في مواضع كثيرة، ولو كان من عنده لأخفاها.

٤- حاله من الخوف الشديد أول ما نزل عليه، والكرب والعرق الذي يعلوه لما يوحىٰ إليه القرآن.

٥- ما في آيات القرآن من إعجاز؛ بعلومه الغيبية، وبأساليبه البلاغية، وبتأثيره علىٰ النفوس الذي يعجز عن الإتيان بمثله الجنّ والإنس.

٦- معرفة قومه له بالصدق والأمانة قبل نزول القرآن الكريم، وما كان ليترك الكذب علىٰ الناس، ويكذب علىٰ ربه عَزَّوَجَلَّ.

٧- ما خَصّ الله عَزَّوَجَلَّ القرآن به حتىٰ بعد موت رسوله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ؛ من كونه محفوظًا، لا يتجرأ أحد علىٰ تبديله إلا فضحه الله، ومن كونه شفاء للناس.





نزول القرآن

كيفية نزول القرآن الكريم:

اختلف أهل العلم رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ **كيف نزل القرآن الكريم علىٰ أقوال:**

١- أنه نزل إلىٰ بيت العزة في السماء الدنيا جملةً واحدةً في ليلة القدر في رمضان، ثم نزل مفرّقًا بعد ذلك بحسب الحوادث في ثلاث وعشرين سنة، وبه قال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، وتبعه جمهور العلماء.

٢- أن أول ما نزل منه نزل في ليلة القدر في رمضان، ثم نزل بحسب الحوادث، وهو قول مقاتل وابن جريج، واختاره ابن عثيمين، لقوله تعالىٰ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا ٣٢﴾ [سورة الفرقان:٣٢].

٣- وقيل: نزل في ثلاث وعشرين ليلة قدْر، في كل ليلة ينزل منه إلىٰ السماء الدنيا قدر ما سينزل في هذه السنة، ثم ينزل مفرّقًا علىٰ الحوادث في هذه السنة، وهو قول الحليمي.

وسبب الخلافِ الخلافُ في فهم قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ١﴾ [سورة القدر:١]، وقوله: ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ﴾ [سورة البقرة:١٨٥].

ولا منافاة بين القول الأول والثاني، فيقال: نزل جملةً إلىٰ السماء الدنيا في رمضان، ثم كان أول نزوله علىٰ النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في رمضان أيضًا.

وبُعث النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وعمره أربعون سنة، في يوم الاثنين من شهر رمضان علىٰ المشهور، وهو اختيار ابن هشام وابن كثير، وقيل: من شهر ربيع الأول، في

الثامن منه، وعزاه ابن القيم للأكثر، وقالوا: إنما نزل في رمضان إلىٰ بيت العزة بالسماء الدنيا، ثم ابتدأ نزول أول آية منه في ربيع الأول.

الحكمة من نزول القرآن مفرّقًا:

ومن حكمة الله تعالىٰ تنزيله القرآن مفرّقًا، فكانت تنزل منه العشر الآيات جملة واحدة كما في حادثة الإفك، وكانت تنزل منه الجملة الواحدة وحدها، كقوله تعالىٰ: ﴿غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ﴾ [سورة النساء:٩٥]؛ بخلاف التوراة فقد كُتبتْ في الألواح لموسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ دفعة واحدة، قال تعالىٰ: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِي ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ [سورة الأعراف:١٤٥].

ومن تلك الحِكم في نزوله مفرّقًا:

١- تثبيت فؤاد النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والرد علىٰ اعتراضات المشركين، قال تعالىٰ: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ [سورة الفرقان:٣٣].

٢- تيسير فهمه وتعلمه، قال تعالىٰ: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾﴾ [سورة الإسراء:١٠٦].

٣- مسايرة الحوادث، والتدرج في التشريع، كتحريم الخمر، وإيجاب الجهاد، قالت السيدة عائشة أم المؤمنين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: «إنما نزل أوّل ما نزل منه سورة من المفصّل فيها ذكر الجنة والنار، حتىٰ إذا ثاب الناس إلىٰ الإسلام نزل الحلال والحرام، ولو نزل أول شيء: (لا تشربوا الخمر)، لقالوا: لا ندع الخمر أبدًا، ولو نزل: (لا تزنوا)، لقالوا: (لا ندع الزنا أبدًا)» أخرجه البخاري.

٤- توكيد صدق رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ بأن ما جاء به من عند الله، إذ تنزل مفرّقًا في ثلاث وعشرين سنة، ولم يختلف في شيء منه، قال تعالىٰ: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [سورة النساء:٨٢].

وصف أمين الوحي جبريل:

وقد وصف جبريل أمين الوحي في النصوص بصفات، منها:

١- أنه ذو علم، وقوة، وجمال، قال تعالىٰ: ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ۝٦﴾ [سورة النجم:٥-٦]، قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: ذو مِرّة: ذو منظر حسن، وقال قتادة: ذو خلق طويل حسن.

٢- وأنه أمين، وله مكانة عظيمة عند الله جَلَّ وَعَلَا، كريم الصفات، مطاع في السماء، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝١٩ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ۝٢٠ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ۝٢١﴾ [سورة التكوير:١٩-٢١].

٣- ووصفَ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَلقه بأنه رآه «منهبطًا من السماء، سادًّا عِظَمُ خلقه ما بين السماء إلىٰ الأرض» أخرجه مسلم، وعند أحمد: «وله ستمائة جناح، كل جناح منها قد سدّ الأفق، يسقط من جناحه من التهاويل والدر والياقوت ما الله به عليم»، قال ابن كثير: إسناده جيد.

٤- وسماه الله الروح، قال تعالىٰ: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ۝١٩٣﴾ [سورة الشعراء:١٩٣]، وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا﴾ [سورة القدر:٤]، وسمي روح القدس، قال تعالىٰ: ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ﴾ [سورة النحل:١٠٢]، والقدس هو الله علىٰ الصحيح من أقوال المفسرين.

٥- وقد حذر الله تعالىٰ من عداوته، فقال: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ۝٩٨﴾ [سورة البقرة:٩٨].

أول ما نزل من القرآن:

اختلف في أول ما نزل من القرآن علىٰ أقوال، أشهرها:

١- أنها الخمس الآيات الأولىٰ من سورة العلق، وهو قول الأكثر، ويدل عليه حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في الصحيحين.

٢- أنها الخمس الآيات الأولىٰ من سورة المدثر، وهو قول جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ويجاب عن قول جابر هذا بأجوبة، منها:

۞ يُحمل علىٰ أنه سمع أنها نزلت بغار حراء، فظنّ أنها أول ما أنزل.

۞ أو أراد أنها أول ما نزل بعد فترة الوحي؛ لقوله: سمعتُ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو يحدث عن فترة الوحي، فقال في حديثه: «**بينا أنا أمشي إذ سمعتُ صوتًا من السماء، فرفعتُ بصري، فإذا الملك الذي جاءني بحراء**» متفق عليه.

۞ أو أنه أخبر عما سمع، ولم يسمع كل ما حدث به رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبل فترة الوحي، ومن ذلك ما روته عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فاقتصر علىٰ ما سمع ظانًّا أنه ليس هناك غيره.

خاصةً أن في حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ما يدل علىٰ أن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رأىٰ جبريل قبل ذلك، حيث جاء فيه: «**فإذا الملك الذي جاءني بحراء**».

۞ أو يقال: إن المدثر أول سورة كمل نزولها، أو أول سورة تنزل لسبب خاص؛ حيث إن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**دثروني دثروني**»، فنزلت.

٣- أنها سورة الفاتحة، وعزاه الزمخشري إلىٰ أكثر المفسرين.

واستدلوا بحديث مرسل رواه البيهقي، فيه أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أول ما أوحي إليه أتىٰ خديجة، فأخبرها بنزول سورة الفاتحة عليه.

وأجيب: أن حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا المرفوع أقوىٰ من هذا الحديث المرسل، أو يُحمل علىٰ أنها أول سورة نزلت كاملة.

وقيل في الجمع بين هذه الأقوال: إن أول ما نزل من الآيات: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾ [سورة العلق:١]، وأول ما نزل من أوامر التبليغ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١﴾ [سورة المدثر:١]، وأول ما نزل من السور سورة الفاتحة.

آخر ما نزل من القرآن:

واختلف في آخر ما نزل علىٰ أقوال، أشهرها:

١- آخر ما نزل آية الربا، كما جاء عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في صحيح البخاري.

٢- قوله تعالىٰ: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ﴾ [سورة البقرة:٢٨١] الآية، كما جاء عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عند النسائي.

وليس هذا باختلاف؛ لأن المقصود به الآية المذكورة، فهي تمام آيات الرّبا، ومعطوفة عليها.

٣- آية الدين، وهو قول سعيد بن المسيب.

٤- وأما ما ثبت عن البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنه قال: «آخر آية نزلت: ﴿يَسۡتَفۡتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفۡتِيكُمۡ فِي ٱلۡكَلَٰلَةِۚ﴾ [سورة النساء:١٧٦]» متفق عليه، فمحمول علىٰ أنّها آخر ما نزل من القرآن في أحكام الميراث.

٥- وما ورد عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن آخر سورة نزلتْ سورة النّصر، أخرجه مسلم، فمحمول علىٰ كونها آخر سورة نزلت كاملة.

٦- وأما ما صحّ عن البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من قوله: «وآخرُ سورة أنزلت براءة» متفق عليه، ونحوه عن أبيّ بن كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقد يكونان قصدا آخر ما نزل في الطّوال.

٧- وكذا ما جاء عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا من أنّ آخر ما نزل قوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يَقۡتُلۡ مُؤۡمِنٗا مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدٗا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمٗا ٩٣﴾ [سورة النساء:٩٣].

وأجيب: أن مقصود ابن عباس آخرُ ما نزل في قتل النفس، ويشهد لهذا المعنىٰ قوله: وما نسخها شيء.

٨- وكذا عن أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن آخر ما نزل من القرآن قوله تعالىٰ: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾ [سورة آل عمران:١٩٥].

وأجيب: أنها أرادت آخر ثلاث آيات ذكرت النساء.

ويفيد معرفة أول وآخر ما أنزل: معرفة الناسخ والمنسوخ، ومعرفة مراتب تدرج التشريع في الأحكام.

وقد يشكل فهم قوله تعالىٰ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [سورة المائدة:٣]، وليست هي بآخر ما نزل، بل نزل بعدها قرآن، فكيف حصل إكمال الدين، وما زالت الآيات تنزل؟

والجواب: أنه قد تمّ إكمال الحج، أو أن المراد بإكمال الدين إعلاء كلمته وظهوره علىٰ الدين كله.

نزول القرآن على سبعة أحرف:

عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال: «أقرأني جبريل علىٰ حرف، فلم أزل أستزيده حتىٰ انتهىٰ إلىٰ سبعة أحرف» متفق عليه.

واختلف أهل العلم في معنىٰ ذلك علىٰ أكثر من أربعين قولًا، كثير منها كالمتداخل، وأقواها ما يأتي:

١- قال أكثر العلماء: سبع لغات من لغات العرب، قيل: للمعنىٰ الواحد، كقولهم: أقبل، وأسرع، وتعال، وهلّم، وعجل، ونحو ذلك، وقيل: كلمات مبثوثة في القرآن الكريم لم تخرج عن اللغات السبع.

ثم اختلفوا فيها: فقيل: لغة قريش، وهذيل، وتميم، وهوازن، وثقيف، وكنانة، واليمن.

وقيل: قريش، وهذيل، وتميم، وهوازن، والأزد، وربيعة، وسعد بن بكر.

وأجيب: أن عمر بن الخطاب وهشام بن حكيم اختلفتْ لغتهما في قراءة القرآن، كما في البخاري، وهما قرشيان.

٢- سبعة وجوه من المعاني: من الأمر، والنهي، والوعد، والوعيد، والجدل، والقصص، والأمثال.

وأجيب: أن ظاهر الحديث أن الشيء الواحد يقرأ بأكثر من صورة؛ توسعة علىٰ الأمة، والكلمة الواحدة لا تكون أمرًا ونهيًا، ووعدًا ووعيدًا، بل هذا من التناقض في ضمّ الشيء إلىٰ نقيضه.

٣- يقصد به القراءات السبع.

وأجيب: أن القراءات المتواترة أكثر من سبع، وأن مصطلح القراءات السبع حادث، أطلقه ابن مجاهد علىٰ مجموع ما اختاره مما قرأه علىٰ مشايخه.

٤- سبعة وجوه للتّغاير الطّارئ علىٰ التّركيب، وهي:

۞ اختلاف الأسماء في الإفراد والتثنية والجمع، والتذكير والتأنيث، كقوله تعالىٰ: ﴿لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ﴾، قرئ: ﴿لأمانتهم﴾.

۞ اختلاف الإعراب، كقوله تعالىٰ: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ﴾ [سورة البقرة:٣٧]، قرئ: ﴿ فتلقى آدمَ من ربه كلماتٌ ﴾ [سورة البقرة:٣٧].

۞ اختلاف التصريف، كقوله تعالىٰ: ﴿رَبَّنَا بَٰعِدۡ بَيۡنَ أَسۡفَارِنَا﴾ [سورة سبأ:١٩]، قرئ: ﴿بعّد﴾.

۞ اختلاف التقديم والتأخير، كقوله تعالىٰ: ﴿فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ﴾ [سورة التوبة:١١١]، قرئ: ﴿فيُقتلون ويَقتلون﴾ [سورة التوبة:١١١].

۞ اختلاف الإبدال، كقوله تعالىٰ: ﴿نُنشِزُهَا﴾ [سورة البقرة:٢٥٩]، قرئ: ﴿نُنشرها﴾.

۞ اختلاف الزيادة والنقصان، كقوله تعالىٰ: ﴿تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ [سورة التوبة:١٠٠]، قرئ: ﴿من تحتها﴾.

۞ اختلاف اللهجات، بالترقيق، والتفخيم، والإمالة، والتسهيل، والإظهار والإدغام، كالإمالة وعدمها في قوله تعالىٰ: ﴿وَهَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ۝٩﴾ [سورة طه:٩].

وأجيب: أنها أكثر من ذلك، كالقصر والمد.

٥- يقصد بالسبعة الكمال والكثرة، كعادة العرب في التعبير به.

وأجيب: أن الأصل في الكلام الحقيقة، ولقوله في الحديث: «**فلم أزل أستزيده**».

٦- هي وجوه قرائية مُنَزَّلة متعددة متغايرة في الكلمة القرآنية الواحدة، لا تزيد علىٰ سبعة، كقراءة كلمة (جبريل) علىٰ خمسة وجوه، والمعتمد منها ما كانت عليه العرضة الأخيرة للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ مع جبريل، وبها كتبت المصاحف العثمانية، فقراءة ابن مسعود وأبي الدرداء رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمَا: ﴿ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ﴾، هي من القراءات التي قد تُرِكت، وهي من الأحرف المنْزلة.

وأجيب: أن كثيرًا من أمور القراءات فوارق صوتية، لا يمكن كتابتها في مصحف أبي بكر وعثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمَا.

وأجيب عن الإجابة: أن عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ أرسل مع كل مصحف قارئًا؛ لضبط الاختلافات الصوتية.

وأقوىٰ الأقوال - والله أعلم - القول الأول والأخير؛ لأن الأحرف السبعة من اختلاف الحروف، لا اختلاف المعاني؛ لرفع الحرج عن التّالين من أصحاب الألسنة المختلفة، يبيّنه:

١- حديث حذيفة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ قال: «**لقيتُ جبريل عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ عند أحجار المراء، فقال: يا جبريل، إني أرسلت إلىٰ أمة أمية: الرجل والمرأة والغلام**

والجارية والشيخ الفاني الذي لا يقرأ كتابًا قط»، قال: «**إن القرآن نزل علىٰ سبعة أحرف**» أخرجه أحمد، والذي يصعب علىٰ الأميّ هو تغيير ما تعوَّده من النطق.

٢- وحديث أبيّ بن كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ليس منها إلّا شافٍ كاف، إن قلت:** ﴿غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٣﴾﴾ [**سورة النساء:٢٣**] **أو قلت:** ﴿سَمِيعًا عَلِيمًا ﴿١٤٨﴾﴾ [**سورة النساء:١٤٨**]، **أو قلت:** ﴿عليمًا سميعًا﴾، **فالله كذلك، ما لم تختم آية عذاب برحمة، أو آية رحمة بعذاب**» أخرجه أحمد، وفي هذه الأمثلة تقديم وتأخير، وإبدال لفظ بلفظ، كلاهما لشيء واحد، ولم يترتب تناقض في المعنىٰ.

لذا قرأ ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في سورة الجمعة: ﴿فامضوا إلى ذكر الله﴾ أخرجه ابن جرير بسند صحيح، والّذي في المصحف: ﴿فَٱسْعَوْا۟ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [**سورة الجمعة:٩**]، وهذا إنما يكون بحسب ما أُنزل.



أسباب النزول

تعريف سبب النزول:

سبب النزول: هو ما نزلتِ الآية أو الآيات مبيّنة لحكمه، أو متحدثة عن واقعةٍ أيامَ وقوعها.

ونزول القرآن على قسمين:

١- نزول ابتدائي: (بدون سبب) وهو أغلب القرآن.

٢- نزول سببي: فهو إما:

- أن يكون بعد سؤال، كقوله تعالىٰ: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ﴾ [سورة البقرة:١٨٩].
- أو يكون بعد حادثة تحتاج إلىٰ بيان، كقوله تعالىٰ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ [سورة التوبة:٦٥]، الآية.

المؤلفات في أسباب النزول:

أول من ألفّ في أسباب النزول علي بن المديني (٢٣٤هـ)، وألف الواحدي (٤٦٨هـ) كتابًا كبيرًا، سمّاه (أسباب النزول)، وقد أخطأ في جعل سبب نزول الآياتِ الوقائعَ التي تتحدث الآيات عنها، وإن لم تكن تتحدث عنها أيام وقوعها، فيجعل مثلًا سبب نزول سورة الفيل هو قصة أصحاب الفيل، وهو بذلك لم يفرق بين موضوع السورة وسبب نزولها؛ كما نبّه علىٰ ذلك السيوطي.

ولذا نقيّد التعريف بقولنا: متحدثة عن واقعةٍ أيامَ وقوعها.

وقد يتأخر نزول الآية، فلا تنزل بعد الحدث مباشرة، كحادثة الإفك، تأخر نزول الآيات شهرًا كاملًا، لكنه لا يتقدم عليه، فإن تقدم كان هذا من باب الإخبار عن المغيبات، كقوله تعالىٰ: ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ﴿٤٤﴾ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴿٤٥﴾﴾ [سورة القمر:٤٤-٤٥]، في سورة مكية، والحدث في بدرٍ في العصر المدني، فليس هذا سببًا للآية، بل الآية إخبار عن وقوعه.

ولابن حجر (٨٥٢هـ) كتاب (العجاب في بيان الأسباب)، وللسيوطي (٩١١هـ) كتاب في أسباب النزول اسمه: (لباب المنقول في أسباب النزول)، ومن الكتب المعاصرة كتاب (الصحيح المسند من أسباب النزول) لشيخنا الوادعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وهو كتاب جمع فيه ما صح من الأحاديث في أسباب النزول، ومن الكتب كتاب (أسباب النُّزول من خلال الكتب التسعة جمعًا ودراسة) للدكتور خالد المزيني، رسالة دكتوراه.

فوائد أسباب النزول:

من فوائد أسباب النزول أنها:

١- تُعين علىٰ فهم الآية.

قال الواحدي: « لا يمكن لأحد أن يفسر الآية إلا بمعرفة سبب النزول ».

ومثال ذلك: ما جاء في صحيح مسلم أن مروان قال: اذهب يا رافع - لبوابه - إلىٰ ابن عباس فقل: لئن كان كل امرئ منا فرح بما أتىٰ، وأحبَّ أن يحمد بما لم يفعل معذّبًا لنعذبنّ أجمعون، فقال ابن عباس: ما لكم ولهذه الآية؟ إنما أنزلت هذه الآية في أهل الكتاب، ثم تلا ابن عباس: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾ [سورة آل عمران:١٨٧] هذه الآية، وتلا ابن عباس: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَواْ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُواْ بِمَا لَمْ يَفْعَلُواْ﴾ [سورة آل عمران:١٨٨]، وقال ابن عباس:

« سألهم النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ عن شيء فكتموه إياه وأخبروه بغيره، فخرجوا قد أروه أن قد أخبروه بما سألهم عنه، واستحمدوا بذلك إليه، وفرحوا بما أتوا من كتمانهم إياه ما سألهم عنه ».

فهذا يدل علىٰ أن مروان بن الحكم لما جهل سبب نزول الآية لم يستطع فهمها.

٢- تخصيص عموم الآية بنوع السبب.

قال ابن تيمية رَحِمَهُٱللَّهُ: « معرفة السبب يورث العلم بالمسبب ».

ومثال ذلك قولُه تعالىٰ: ﴿لَيۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٞ فِيمَا طَعِمُوٓاْ إِذَا مَا ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [سورة المائدة:٩٣]، فقد جاء أن رجلين شربا الخمر، وقالا: ما دمنا اتقينا الله وآمنا وعملنا الصالحات فليس علينا جناح، فبيّن لهما عمر بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ أن الآية ليست عامة، وإنما نزلت في الذين شربوا الخمر قبل أن تحرّم الخمر، ثم اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات، ثم ماتوا.

فهذا أيضًا يدل علىٰ أن الرجلين لم يخصصا الآية بسببها، وإنما عمّما الآية علىٰ جميع الناس؛ لجهلهما بسبب نزولها.

والعبرة إذًا في ذلك هو عموم الآية، مقيدًا بخصوص نوع السبب.

٣- معرفة وجه الحكمة من التشريع.

ومن أمثلة ذلك ما يتعلق بفهم مراحل الدعوة، فنجد أن آيات التوحيد كان نزولها في بداية الدعوة، ثم نزلت آيات الأحكام بعد ذلك، وهذا يدل علىٰ أن الداعية عليه أن يسلك طريقة التدرج في الدعوة، فيبدأ بأمور التوحيد، ثم أحكام الدين.

وفي صحيح البخاري عن عائشة أم المؤمنين رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا قالت: إنما نزل أول ما نزل منه سورة من المفصل، فيها ذكر الجنة والنار، حتىٰ إذا ثاب الناس إلىٰ الإسلام نزل الحلال والحرام، ولو نزل أول شيء: (لا تشربوا الخمر)، لقالوا: لا ندع الخمر أبدًا، ولو نزل: (لا تزنوا)، لقالوا: لا ندع الزنا أبدًا.

٤- معرفة بلاغة القرآن من جهة علم المعاني، فيدرك أن الخطاب جاء مناسبًا لمقتضىٰ الحال، وبه يدرك إعجاز نظم القرآن، كما نبّه عليه الشاطبي.

ألفاظ أسباب النزول:

١- قول الصحابي: حدَثَ كذا وكذا، فنزلت آية كذا وكذا، أو ثم نزلت آية كذا، وهذه لفظة ظاهرة في إرادة بيان سبب النزول.

ففي صحيح البخاري عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: كان أهل اليمن يحجون ولا يتزودون، ويقولون: نحن المتوكلون، فإذا قدموا المدينة سألوا الناس، فأنزل الله تعالىٰ: ﴿وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ [سورة البقرة:١٩٧].

٢- قول الصحابي: نزلت آية كذا في كذا، وهذه لفظة محتملة، يراد بها كثيرًا أنها نزلت في معنىٰ كذا، لا أنه سبب لها.

ومن أمثلتها: ما روىٰ مسلم عن البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في قوله تعالىٰ: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ [سورة إبراهيم:٢٧]، قال: نزلتْ في عذاب القبر؛ أي في معناها.

وروىٰ الترمذي عن البراء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: ﴿وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ﴾ [سورة البقرة:٢٦٧] نزلتْ فينا معشر الأنصار، كنا أصحاب نخل، فكان الرجل يأتي من نخله علىٰ قدر كثرته وقلته، وكان الرجل يأتي بالقنو والقنوين، فيعلقه في المسجد، وكان أهل الصفة ليس لهم طعام، فكان أحدهم إذا جاء أتىٰ القنو، فضربه بعصاه، فيسقط البسر والتمر فيأكل، وكان ناس ممن لا يرغب في الخير يأتي الرجل بالقنو فيه الشيص والحشف والقنو قد انكسر، فيعلقه.

وهذه اللفظة يجعلها البخاري والحاكم من أسباب النزول، فتجدهما يجعلان أحاديثها في أسباب النزول من كتابهما، وأما الإمام أحمد وأكثر أهل العلم فيجعلونها

لفظة محتملة، وليست من أسباب النزول، وإنما تدخل في التفسير؛ لأن حرف (في) قد يكون سببيًّا أو ظرفيًّا، والغالب أنها تأتي ظرفية، وقد تأتي أحيانًا سببية، فمثلًا: قوله تعالىٰ: ﴿وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ۝٧﴾ [سورة الماعون:٧]، قال ابن مسعود: نزلتْ في من يمنع القدر والحبل، فهي هنا ظرفية.

ويتضح هذا بجمع الروايات في سبب نزول الآية.

فائدة: ترتيب الآيات ليس بحسب زمن نزولها، بل جاء ترتيبها توقيفيًّا بحسب مناسبة سياقها، قال الزركشي (٧٩٤هـ)، قال: « الزمان إنما يشترط في سبب النزول، ولا يشترط في المناسبة؛ لأن المقصود منها وضع آية في موضع يناسبها ».

قواعد في أسباب النزول:

١- سبب النزول توقيفي:

يقول الواحدي: « ولا يحلّ القول في أسباب نزول الكتاب إلا بالرواية والسماع ممن شاهدوا التنزيل، ووقفوا علىٰ الأسباب، وبحثوا في علمها، وجدّوا في الطِّلاب ».

ومن فروع هذه القاعدة أن كل ما يقوله الصحابي في أسباب النزول له حكم الرفع، وإذا قال التابعي: سبب نزول كذا هو كذا، فله حكم الرفع أيضًا، ولكنه يعدّ مرسلًا، والمرسل من أقسام ضعيف.

٢- هل العبرة بخصوص السبب أو بعموم اللفظ؟

في سبب نزول قول الله تعالىٰ: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾ [سورة البقرة:١٩٦]، قال كعب بن عجرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما كانت تؤذيه هوام رأسه: «**نزلت فيَّ خاصة، وهي لكم عامة**» أخرجه البخاري، وكذا فيما أخرجه مسلم عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: جاء رجل إلىٰ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال: يا رسول الله إني عالجتُ امرأة في أقصىٰ المدينة، وإني أصبتُ منها ما دون أن أمسها،

فأنا هذا، فاقضِ فيّ ما شئت، فقال له عمر: لقد سترك الله، لو سترتَ نفسك، قال: فلم يردّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شيئًا، فقام الرجل فانطلق، فأتبعه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رجلًا دعاه، وتلا عليه هذه الآية: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ١١٤﴾ [سورة هود:١١٤]، فقال رجل من القوم: يا نبي الله، هذا له خاصة؟ قال: «**بل للناس كافة**».

فهل القول بالعموم هنا، من باب عموم اللفظ، أو من باب خصوص السبب والقياس عليه؟

وما الفرق بين القولين؟

إذا قلنا بحمل الآية علىٰ خصوص نوع السبب، فقوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِ﴾ [سورة البقرة:١٩٥] سيُحمل علىٰ من ترك النفقة في سبيل الله، وهو سبب نزولها كما ذكر أبو أيوب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أو فيمن أذنب وقنط من رحمة الله، كما هو قول البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ولا يدخل غيرهما، كمن فعل أسباب الهلاك الدنيوي، كتناول السموم، وإذا قلنا بعموم اللفظ دخل ذلك.

والذي يظهر أنه يخصص بنوع السبب، كما سبق بيانه عند قوله تعالىٰ: ﴿لَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡرَحُونَ بِمَآ أَتَواْ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحۡمَدُواْ بِمَا لَمۡ يَفۡعَلُواْ فَلَا تَحۡسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٖ مِّنَ ٱلۡعَذَابِۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١٨٨﴾ [سورة آل عمران:١٨٨]، وقوله: ﴿لَيۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٞ فِيمَا طَعِمُوٓاْ إِذَا مَا ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [سورة المائدة:٩٣]، ويقاس غيره عليه إن توفرت شروط القياس، وعليه تدخل أسباب الهلاك الدنيوي في آية: ﴿وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِ﴾ [سورة البقرة:١٩٥]؛ قياسًا علىٰ دخول أسباب الهلاك الديني عند من يرىٰ تحقق شروط القياس.

٣- الأصل عدم تكرار سبب النزول:

۞ فإذا جاء للآية أكثر من سبب نزول، فينظر في الصحيح منها، فيقدم علىٰ غيره.

مثاله سببُ نزول سورة الضحىٰ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اشتكىٰ، فلم يقم ليلتين أو ثلاثًا، فجاءت امرأة، فقالت: يا محمد، إني لأرجو أن يكون شيطانك قد تركك، فنزلت سورة الضحىٰ، كما في الصحيحين، وروي أن كلبًا كان تحت سرير النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلم يأته جبريل. أخرجه الطبراني، قال ابن حجر: « بإسنادٍ فيه من لا يعرف ».

۞ فإذا وجد أكثر من سبب نزول صحيح: يُنظر للصريح منها، فيقدم علىٰ غيره.

مثاله قوله تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ [سورة البقرة:١١٥]، جاء في سبب نزولها:

١- عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا «أنها نزلت لما نسخ استقبال القبلة، قال: فأنزل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وذكر الآية» وقد أخرجه ابن جرير بسند صحيح، فهو صحيح صريح.

٢- وجاء عن عامر بن ربيعة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لما أشكلتِ القبلة في ليلة مظلمة، فصلىٰ كل رجل باجتهاده، قال: فنزلت» أخرجه الترمذي بسند صحيح، وهو صحيح صريح أيضًا.

٣- وجاء عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يصلي علىٰ راحلته حيث توجهت به، وهو جاءٍ من مكة إلىٰ المدينة، ثم قرأ هذه الآية، وقال: «**في هذا أنزلت هذه الآية**» أخرجه الترمذي بسند صحيح، وهو صحيح غير صريح.

٤- وجاء عن قتادة قوله: نزلت في النجاشي، قالوا: «كيف نصلي عليه، وقد كان يصلي لغير القبلة؟ قال: فأنزل الله عَزَّوَجَلَّ، وذكر الآية» أخرجه ابن جرير، وهو صريح، لكنه ضعيف؛ لإرساله.

٥- وجاء عن مجاهد: « لما نزل قوله الله تعالىٰ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [سورة غافر:٦٠]، قالوا: إلىٰ أين؟ فنزلت » أخرجه ابن جرير، وهو صريح، لكنه ضعيف؛ لإرساله أيضًا.

فتبين بما سبق أن سبب نزول الآية هو السبب الأول والثاني.

۞ فإذا وجد أكثر من سبب صحيح صريح، فينظر إلىٰ الزمان، فإن تقارب حُمِل علىٰ أنها نزلت بعدهما جميعًا، وإن تباعد حمل علىٰ تعدد سبب النزول.

ومثال تقارب الزمان في سبب النزول في حال وجود أكثر من سبب صحيح صريح قولُه تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمْ﴾ [سورة النور:٦] الآية، جاء في سبب نزولها حديثان، كلاهما صحيح، الأول: في صحيح البخاري، ويدل علىٰ أنها نزلت في شأن هلال بن أمية، والآخر: في الصحيحين، ويدل علىٰ أنها نزلت في شأن عويمر بن عجلان، قال الحافظ: « اختلف الأئمة في هذا الموضع، فمنهم من رجح أنها نزلت في شأن عويمر، ومنهم من رجح أنها نزلت في شأن هلال، ومنهم من جمع بينهما بأن أول من وقع له ذلك هلال، وصادف مجيء عويمر أيضًا، فنزلت في شأنهما معًا، وإلىٰ هذا ذهب النووي وتبعه الخطيب »، ثم قال: « ويحتمل أن النزول سبق بسبب هلال، فلما جاء عويمر، ولم يكن له علم بما وقع لهلال أعلمه النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بالحكم، ولهذا قال في قصة هلال: «**فنزل جبريل**»، وفي قصة عويمر: «قد أنزل الله فيك»، فيؤول قوله: «**قد أنزل الله فيك**»؛ أي فيمن وقع له مثل ما وقع لك ».

ومثال تباعد الزمان بين أسباب النزول، مع الصحة والصراحة، فيحمل علىٰ تعدد أسباب النزول: نزول قول الله تعالىٰ: ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢﴾ [سورة الروم:١-٢]، قيل نزلت في مكة، وقيل: في يوم بدر، وكلاهما رواهما الترمذي بسند صحيح، فتحمل علىٰ تعدد النزول.

❁ **ولتعدد أسباب حكم عظيمة، منها:**

١- تأكيد الموعظة أو الحكم.

٢- بيان أن الحادثة المعينة تدخل تحت الحكم.

٣- لينزل بحرف آخر من الحروف السبعة التي لم ينزل بها أولًا.

فائدة: الأصل في سبب نزول الآية أن يكون مقاربًا لنزولها، ولكن قد يتقدم سبب نزولها أو يتأخر، فمثال تقدم سبب نزول الآية عن نزولها آيةُ الوضوء فقد شُرع الوضوء قبل أن تنزل الآية، وهي قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ﴾ [سورة المائدة:٦] الآية، فإنها نزلت متأخرة مع تشريع التيمم، ولا يوجد في الوضوء إلا هذه الآية، قال ابن عبد البر: « والحكمة من نزول آية الوضوء مع تقدم العمل به؛ ليكون فرضه متلوًّا بالتنزيل »، وفي هذه الحالة لا يسمىٰ سبب نزول، وإنما يقال: جاءت الآية لتؤكد الحكم السابق، لا لتقرره.

ومثال تأخر سبب النزول عن نزول الآية قولُه تعالىٰ: ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝١ وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝٢﴾ [سورة البلد:١-٢]، فهي نزلت في مكة، وسبب نزولها أن مكة تكون حلالًا للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ، وقد تأخر هذا إلىٰ عام الفتح، وفي هذه الحالة أيضًا لا يسمىٰ سبب نزول، بل يقال: هي من قبيل الآيات المخبرة عن المغيبات.

فائدة: قد يتحد سبب النزول، وتتعدد الآيات النازلة فيه، ومثاله: لما قالت أم سلمة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهَا: يا رسول الله، يُذكر الرجال، ولا يُذكر النساء في القرآن، فأنزل الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ﴾ [سورة الأحزاب:٣٥]، وأنزل: ﴿أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٖ مِّنكُم﴾ [سورة آل عمران:١٩٥] أخرجه الحاكم، وبنحوه الترمذي.





المكي والمدني

معنى المكي والمدني:

من أوائل من ألفّ في ذا الباب مكّي بن أبي طالب (٤٣٧هـ)، وقد اختلف أهل العلم في معيار تقسيم الآيات إلىٰ مكي ومدني علىٰ أقوال:

١- **المكيّ**: ما نزل قبل الهجرة، وإن نزل بغير مكة، والمدني: ما نزل بعد الهجرة، وإن نزل بغير المدينة، فاعتبروا الزمان، وروي هذا التعريف عن يحيىٰ بن سلام البصري المفسر (٢٠٠ هـ).

ويؤيده: قول عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «لقد نزل بمكة علىٰ محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإني لجارية ألعب: ﴿بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾﴾ [سورة القمر:٤٦]، وما نزلت سورة البقرة والنساء إلا وأنا عنده» أخرجه البخاري.

٢- **المكيّ**: ما نزل بمكة وما جاورها، والمدني: ما نزل بالمدينة وما جاورها، فاعتبروا المكان، وقد قسّم هبة الله بن سلامة المفسر البغدادي (٤١٠ هـ) المكي علىٰ قسمين، هما: المكي الأول، وهو ما نزل في مكة قبل الهجرة، والمكي الأخير: وهو ما نزل فيها بعد الفتح.

ويقويه: أن اهتمام الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ كان يتجه لمكان النزول، يقول عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن قوله تعالىٰ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [سورة المائدة:٣]: «إني لأعلم أيّ مكان أُنزلت؟ أنزلتْ ورسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واقف بعرفة» متفق عليه.

ويشكل عليه ما نزل في الأسفار، فهو ليس مكيًّا ولا مدنيًّا.

٣- **المكي**: ما نزل خطابًا لأهل مكة، والمدني: ما نزل خطابًا لأهل المدينة، فاعتبروا المخاطبين.

ويُشكل عليه: ما نزل خطابًا لغيرهم، وهو كثير، وعليه فلن يطلق علىٰ آيات كثيرة وصفُ مكية أو مدنية.

مميزات وضوابط المكي والمدني:

وقد بيّن العلماء أن معرفة المكي والمدني من سور القرآن يمكن أن يكون من خلال طريقين: سماعي عن طريق النقل عن الصحابة والتابعين، وقياسي من خلال جملة من المميزات والضوابط المبيّنة لنوع السورة.

يقول ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: « والذي لا إله غيره، ما أنزلتْ سورة من كتاب الله إلا وأنا أعلم أين نزلت، ولا أنزلتْ آية من كتاب الله إلا وأنا أعلم فيمن أنزلت، ولو أعلم أحدًا أعلم مني بكتاب الله تبلغه الإبل لركبت إليه » أخرجه البخاري.

١- يمتاز المكي بمميزات منها:

أ- أنّ آياته تمتاز بقوة الألفاظ، والقصر مع الإيجاز، فتكثر فواصله.

ب- وأنّ موضوعاته تدور حول الاعتقاد، وأصول الأخلاق.

- وتأمل سورة المدثر.

ومن ضوابطه:

۞ أنّ كل سورة فيها سجدة مكية.

۞ أنّ كل سورة فيها لفظة (كلّا) مكية.

۞ أنّ كلّ سورة فيها قول الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ و﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ﴾ مكية عدا البقرة والنساء.

فعن عبد الله بن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قال: «كل شيء في القرآن ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ أنزل بمكة، وكل شيء في القرآن: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ أنزل بالمدينة» أخرجه الحاكم.

ويقول: «قرأنا المفصّل حججًا، ونحن بمكّة، ليس فيها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾» أخرجه ابن أبي شيبة، وإسناده صحيح.

۞ أنّ كل سورة فيها ذكر قصص الأنبياء مكية، عدا البقرة.

۞ أنّ كل سورة بدأت بالحروف المقطّعة مكية، عدا البقرة وآل عمران، واختلفوا في الرعد.

۞ كل سورة بدأت بقسم - وهي خمس عشرة سورة - أو بالحمد - وهي خمس سور - مكية، وفي بعضها خلاف.

٢- ويمتاز المدني بمميزات، منها:

أ- أن آياته تمتاز بلين الألفاظ، وطول الآيات.

ب- وأن موضوعاته تدور حول الأحكام، ومخاطبة أهل الكتاب.

- وتأمل سورة المائدة.

ومن ضوابطه:

۞ أنّ كلّ سورة فيها ذكر الجهاد وغزوات النبي صلي الله عليه وسلم مدنية.

۞ أنّ كلّ سورة فيها ذكر الحدود والفرائض مدنية.

فعن عروة بن الزبير قال: «ما كان من حدّ أو فريضة أنزلها الله عَزَّوَجَلَّ بالمدينة، وما كان من ذكر الأمم والقرون أنزل بمكة» أخرجه البيهقيّ في دلائل النبوة.

۞ أنّ كلّ سورة فيها ذكر المنافقين مدنية عدا سورة العنكبوت.

۞ أنّ كلّ سورة فيها قول الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ مدنية عدا الحج.

فوائد معرفة المكي والمدني:

١- فهم الأحكام الشرعية من خلال تمييز الناسخ من المنسوخ.

٢- معرفة مراحل تدرج التشريع.

٣- تذوق بلاغة القرآن، ومعرفة مراحل السيرة النبوية، ثم استيعاب أساليب الخطاب المناسبة لكل مرحلة.

٤- الترجيح عند اختلاف المفسرين، ومن أمثلة ذلك:

عن أبي بشر قال: سألتُ سعيد بن جبير عن قوله تعالىٰ: ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٤٣﴾﴾ [سورة الرعد:٤٣] أهو عبد الله بن سلام؟ فقال: كيف وهذه السورة مكية؟!

قال ابن الجوزي (٥٩٧هـ) في قوله تعالىٰ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾﴾ [سورة الأعلى:١٤-١٥]: « وفي قوله تعالىٰ: ﴿فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾﴾ [سورة الأعلى:١٥] **ثلاثة أقوال:**

أحدها: أنها الصلوات الخمس، قاله ابن عباس ومقاتل.

والثاني: صلاة العيدين، قاله أبو سعيد الخدري.

والثالث: صلاة التطوع، قاله أبو الأحوص.

والقول قول ابن عباس في الآيتين، فإن هذه السورة مكية بلا خلاف، ولم يكن بمكة زكاة ولا عيد ».

السور المكية والمدنية:

السور التي لم يختلف في كونها مدنية - اختلافًا معتبرًا- اثنتان وعشرون سورة، هي:

البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، والأنفال، والتوبة، والنور، والأحزاب، ومحمد، والفتح، والحجرات، والحديد، والمجادلة، والحشر، والممتحنة، والصف، والجمعة، والمنافقون، والطلاق، والتحريم، والبينة، والنصر.

واختلفوا في سبع عشرة سورة، أربع عشرة منها مكية علىٰ الراجح، هي: الفاتحة، الرّعد، الحجّ، الرّحمن، الواقعة، التّغابن، الإنسان، الزّلزلة، العاديات، التّكاثر، العصر، الماعون، الكوثر، الإخلاص، وثلاث الأرجح أنها مدنية، وهي: المطفّفين، الفلق، النّاس.

وما عدا السور المذكورة فهو مكي، وعددها خمس وسبعون سورة.

وقد يدلّ علىٰ كون السورة مكية أو مدنية الدليل المرفوع، فمن ذلك:

۞ سورة الفاتحة مكية؛ لحديث أبي سعيد بن المعلّىٰ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ [سورة الفاتحة:٢] **هي السّبع المثاني، والقرآن العظيم الّذي أوتيته**» أخرجه البخاري، وهو مفسر لقوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ۝٨٧﴾ [سورة الحجر:٨٧]، ولا خلاف أنّ سورة الحجر مكّيّة، ولا يمتنُّ بما لم ينزل بعد.

۞ سورة الرّحمن مكّيّة؛ لحديث أسماء بنت أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو يقرأ، وهو يصلّي نحو الرّكن قبل أن يصدع بما يؤمر، والمشركون يستمعون: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [سورة الرحمن]» أخرجه أحمد.

۞ سورتا الفلق والنّاس مدنيّتان؛ لحديث عقبة بن عامر الجهنيّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ألم ترَ آيات أنزلت اللّيلة لم ير مثلهنّ؟** ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾» أخرجه مسلم، وعقبة بن عامر إنّما أسلم أول مقدم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المدينة.

والأصل في السورة أن تكون مكية كلها، أو مدنية كلها، والاستثناء منها خلاف الأصل، ومن المهم معرفة المستثنيات في كل سورة.

قال د. عبد الله الجديع: « **وقمتُ بتتبّع ذلك بأسانيده، فخلصتُ منه إلىٰ أنّ الذي ثبتت به الرواية من المدني في المكي في تسع سور، هي كالتّالي:**

١- **في سورة هود:** ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ١١٤﴾ [**الآية: ١١٤**].

٢- **وفي سورة النّحل:** ﴿وَإِنۡ عَاقَبۡتُمۡ فَعَاقِبُواْ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبۡتُم بِهِۦۖ وَلَئِن صَبَرۡتُمۡ لَهُوَ خَيۡرٞ لِّلصَّٰبِرِينَ ١٢٦﴾ [**الآية: ١٢٦**].

٣- **وفي سورة الإسراء:** ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا ٨٥﴾ [**الآية: ٨٥**].

٤- **وفي سورة الحجّ ثلاثة مواضع، هي:** ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ١١﴾ [**الآية: ١١**]، و﴿۞ هَٰذَانِ خَصۡمَانِ ٱخۡتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمۡۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتۡ لَهُمۡ ثِيَابٞ مِّن نَّارٖ يُصَبُّ مِن فَوۡقِ رُءُوسِهِمُ ٱلۡحَمِيمُ ١٩ يُصۡهَرُ بِهِۦ مَا فِي بُطُونِهِمۡ وَٱلۡجُلُودُ ٢٠ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنۡ حَدِيدٖ ٢١ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا مِنۡ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ٢٢﴾ [**الآيات: ١٩ - ٢٢**]، و﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ ٣٩ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّهُدِّمَتۡ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٞ وَصَلَوَٰتٞ وَمَسَٰجِدُ يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ ٱللَّهِ كَثِيرٗاۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ٤٠﴾ [**الآيتان: ٣٩ - ٤٠**].

٥- **وفي سورة يس:** ﴿إِنَّا نَحۡنُ نُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَنَكۡتُبُ مَا قَدَّمُواْ وَءَاثَٰرَهُمۡۚ وَكُلَّ شَيۡءٍ أَحۡصَيۡنَٰهُ فِيٓ إِمَامٖ مُّبِينٖ ١٢﴾ [**الآية: ١٢**].

٦- **وفي سورة الزّمر موضعان:** ﴿۞ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [**الآيات: ٥٣ - ٥٥**]، و﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [**الآية: ٦٧**].

٧- **وفي سورة الشّورىٰ:** ﴿وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾﴾ [**الآية: ٢٧**].

٨- **وفي سورة الأحقاف:** ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾﴾[**الآية: ١٠**].

٩ - **وفي سورة التّغابن:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِن تَعْفُوا۟ وَتَصْفَحُوا۟ وَتَغْفِرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾﴾ [**الآية: ١٤**].

۞ **وموضع مجيء المكّيّ في المدنيّ، هو قوله تعالىٰ في سورة الحديد:** ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾﴾ [**الآية: ١٦**] ».



الآيات والسور وترتيبها

معنى الآية:

الآية تطلق في اللغة علىٰ عدة معانٍ:

١- العلامة، قال تعالىٰ: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ﴾ [سورة البقرة:٢٤٨].

٢- المعجزة، قال تعالىٰ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ﴾ [سورة البقرة:١١٨].

٣- الدليل والبرهان، قال تعالىٰ: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ﴿٣٢﴾﴾ [سورة الشورى:٣٢].

٤- العبرة، قال تعالىٰ: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا﴾ [سورة آل عمران:١٣].

٥- الطائفة من القرآن، قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ﴾ [سورة النحل:١٠١]، وقال: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ﴾ [سورة البقرة:١٠٦].

٦- الجماعة، تقول العرب: خرج القوم بآيتهم، أي بجماعتهم؛ لأن الآية جماعة مستقلة من الكلمات، والمعاني السابقة كذلك قد اجتمعت في معنىٰ الآية اصطلاحًا.

والآية اصطلاحًا:

طائفة من كلمات القرآن ذات مطلع ومقطع.

كيف تحدد الآية؟

للعلماء قولان:

١- أنه توقيفي؛ بدليل أن بعض الحروف المقطعة عُدّت آية، كقوله تعالىٰ: ﴿طه ۝١﴾ [سورة طه:١]، ﴿الٓمٓصٓ ۝١﴾ [سورة الأعراف:١]، وبعضها لم يُعدّ، كقوله تعالىٰ: ﴿الٓمٓرٰۚ﴾ [سورة الرعد:١]، ﴿طسٓۚ﴾ [سورة النمل:١].

٢- أن منها ما هو توقيفي، ومنها ما هو قياسي، ويعرف التوقيفي بتوقف النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عنده دائمًا؛ لأنه كان يقف علىٰ رؤوس الآي، ويعرف القياسي بموافقة الفاصلة.

اختلاف العلماء في عدّ الآيات:

للعلماء في عدِّ آيات القرآن طرق:

١- **العدّ المدني الأول**: ولا ينسب لراوٍ معين، وهو الذي كان يَعُدُّ به القدماء من أصحاب نافع، ورواه عامة المصريين عن ورش عنه.

٢- **العدّ المدني الأخير**: وينسب إلىٰ أبي جعفر وشيبة موقوفًا عليهما.

٣- **العدّ المكي**: وينسب إلىٰ مجاهد بن جبر عن عبد الله بن عباس عن أُبي بن كعب موقوفًا عليه.

٤- **العدّ الكوفي**: وينسب إلىٰ أبي عبد الرحمن السلمي عن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا.

٥- **العدّ البصري**: وينسب إلىٰ عاصم بن أبي الصباح الجحدري موقوفًا عليه.

٦- **العدّ الشامي**: وينسب إلىٰ يحيىٰ بن الحارث الذماري موقوفًا عليه، وبعضهم يوقفه علىٰ عبد الله بن عامر اليحصبي القارئ.

وقد يتفقون علىٰ عدّ آيات السور ومواضعها، وهذا في أربعين سورة، وقد يختلفون في موضع الآية مع الاتفاق علىٰ عدد آياتها، وهذا في أربع سور، وقد يختلفون كذلك في عدد آياتها، وهذا في سبعين سورة.

فوائد معرفة عدّ الآيات:

ويستفاد من معرفة مواضع الآيات:

١- حسن الوقف، واتباع سنة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الوقف علىٰ رؤوس الآيات.

٢- ضبط الإمالة عند مَن أمالَ في الألفاظ التي تقع رأس آية.

٣- ضبط بعض الأحكام الفقهية التي ترتبط بقراءة آية أو مجموعة من الآيات، مثل:

- قراءة سبع آيات بدل الفاتحة لمن عجز عنها عند الشافعي.
- قراءة آية في الخطبة.
- تقدير قدر القراءة في الفريضة، ففي حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يقرأ في صلاة الظهر في الركعتين الأوليين في كل ركعة قدر ثلاثين آية، وفي الأخريين قدر خمس عشرة آية، أو قال نصف ذلك، وفي العصر في الركعتين الأوليين في كل ركعة قدر قراءة خمس عشرة آية، وفي الأخريين قدر نصف ذلك» أخرجه مسلم.
- قراءة من الستين إلىٰ المائة في صلاة الصبح.
- اعتبار العدد في ثواب قراءة قيام الليل؛ نحو قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من قرأ بعشر آيات لم يكتب من الغافلين**»، ونحوها.
- وكذا حديث: «**من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال**» أخرجه مسلم.

۞ وكذا قراءة العشر الخواتيم من سورة آل عمران التي تقرأ بعد الاستيقاظ من النوم.

ترتيب آيات القرآن:

ترتيب الآيات توقيفي بالإجماع، وقد نقل الإجماع الزركشي في البرهان، وأبو جعفر بن الزبير في مناسباته، وقد دلتْ علىٰ ذلك عدة أدلة:

۞ فعند الخمسة إلا ابن ماجه قال عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مما تنزل عليه الآيات فيدعو بعض من كان يكتب له، ويقول له: ضع هذه الآية في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا».

۞ ثبتت قراءة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لسور كثيرة بترتيب آياتها في الصلوات والخطب.

۞ ففي صحيح البخاري عن ابن الزبير قال: «قلت لعثمان بن عفان: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا﴾ [سورة البقرة:٢٣٤]: قد نسختها الآية الأخرىٰ، فلِمَ تكتبُها؟ أو تدعُها؟ قال: يا ابن أخي، لا أغيّر شيئًا منه من مكانه».

۞ وفي صحيح البخاري أيضًا عن زيد بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «فقدتُ آية من الأحزاب حين نسخنا المصحف، قد كنتُ أسمع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقرأ بها، فالتمسناها فوجدناها مع خزيمة بن ثابت الأنصاريّ: ﴿مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [سورة الأحزاب:٢٣]، فألحقناها في سورتها من المصحف».

۞ وكذا الآيات الدالة علىٰ نزول السورة، كقوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ﴾ [سورة التوبة:٨٦]، ﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا﴾ [سورة النور:١].

وأما ما وري عن عمر وعثمان وزيد بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أن الآيتين من آخر سورة التّوبة لم يعرفوا محلهما، فوضعتا في آخر سورة التوبة؛ لأنها آخر سورة نزلت - لم تصحّ أسانيده إليهم.

معنى السورة:

السورة تطلق في اللغة علىٰ عدة معان، منها:

١- المنزلة من البناء؛ لأن كل سورة مقطوعة عن الأخرىٰ.

٢- والعلامة؛ لأن كل سورة لها علامة بداية وختام محددة.

٣- والشرف والعلو كسور المدينة؛ لأن كل سورة فيها شرف هذا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهذه الأمة.

٤- والصفّ الواحد من صفوف الآجُرّ أو اللَّبِن في الجدار؛ لأن كل سورة مجموعة واحدة من الآيات.

٥- وقيل: أصلها سؤرة، ثم خُفّفت الهمزة، من السؤر وهو البقية من الشيء؛ لأنها قطعة من القرآن.

والسورة اصطلاحًا: طائفة من آيات القرآن، ذات مطلع ومقطع.

ويستفاد من معرفة مطلع ومقطع السورة: تيسير حفظها، وفهم موضوع السورة وما جاءت به من معانٍ وحِكم.

ترتيب السور:

اختلفوا في ترتيب السور علىٰ قولين:

القول الأول: أنه توقيفي، بل ذكر الطيبي أن ترتيب السور في المصحف كترتيبها في اللوح المحفوظ، وكما نزل في ليلة القدر إلىٰ السماء الدنيا.

واستدلوا بأدلة منها:

١- قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لوفد ثقيف لما قالوا: ما أمكثك عنا يا رسول الله؟ قال: «**طرأ عليّ حزبي من القرآن، فأردتُ ألّا أخرج حتىٰ أقضيه**»، قال: فسألْنا أصحابَ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين أصبحنا، قال: قلنا: كيف تحزبون القرآن؟

قالوا: نحزبه ثلاث سور، وخمس سور، وسبع سور، وتسع سور، وإحدىٰ عشرة سورة، وثلاث عشرة سورة، وحزب المفصل من قاف حتىٰ يختم. أخرجه أحمد وأبو داود وابن ماجه، وضعفه الألباني.

وأجيب: بأنه يحتمل أن الذي كان مرتبًا حينئذٍ حزب المفصل خاصة، بخلاف ما عداه.

٢- إجماع الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ علىٰ ترتيب السور في مصحف عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وأجيب: بأنه قد يكون حرصًا لجمع الكلمة، واتباعًا لسنة عثمان، لا عن توقيف.

٣- أن ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ [سورة الفاتحة:٢] سُميت فاتحة الكتاب، وقد افتتح بها المصحف.

٤- ما رواه البخاري عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: وهو يتحدث عن سورة الإسراء، والكهف، ومريم، وطه، والأنبياء: «**إنهن من العتاق الأُول، وهنّ من تلادي**» أخرجه البخاري، وهكذا ترتيبها في المصحف.

٥- حديث واثلة بن الأسقع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**أُعطيتُ مكان التوراة السبع، وأعطيتُ مكان الزبور الْمِئين، وأعطيت مكان الإنجيل المثاني، وفضلت بالمفصل**» أخرجه أحمد، وهو بنحو ترتيبها في المصحف.

والطّوالُ سبع سور: البقرة، وآل عمران، والنّساء، والمائدة، والأنعام، والأعراف، واختلف في السّابعة، فقيل: التّوبة، وقيل: الأنفال والتّوبة كسورة واحدة، وقيل: يونس بدلهما.

والْمِئونَ هي السّور الّتي تزيد آياتها علىٰ مائة آية أو تقاربها، كالأنفال، ويونس، وهود، والنّحل، والإسراء، والمؤمنون.

والمثاني هي السّور التي تكون آياتها أقل من مائة، كالنّور، والفرقان، والقصص، ويس، والزّمر، وتحديدها اجتهاد، وإلا فسورة الشّعراء مثلًا (٢٢٧) آية، ومع ذلك جاءت في المصحف في سياق سورٍ هي من المثاني.

وقد أطلق هذا الوصف علىٰ القرآن كله، كقوله تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا﴾ [سورة الزمر:٢٣]، وعلىٰ الفاتحة، كما في حديث أبي سعيد بن المعلّىٰ في البخاري؛ وذلك لأنها تثنّىٰ في الصّلاة في كل ركعة.

وأما المفصّل فهو السور من سورة ق، وقيل: من الحجرات إلىٰ آخر القرآن، وهو ثلاثة أقسام: طوال، وهي إلىٰ: عَمَّ، وقيل: إلىٰ البروج، وأوساط، وهي إلىٰ الضحىٰ، وقيل: إلىٰ البينة، وقصار وهي ما بقي إلىٰ آخر المصحف، ومنهم من عدّ الفاتحة من المفصل.

وسمّي بالمفصّل؛ لكثرة الفصول التي بين سورها بالبسملة، وقيل: لقلة المنسوخ منه، ولهذا يسمىٰ بالمحكم أيضًا؛ كما روىٰ الإمام أحمد عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا أنه قال: إن الذي تدعونه المفصل هو المحكم.

وأجيب عن الاستدلال بحديث واثلة بأنه قد يكون ترتيب بعض السور توقيفيًّا، لا كلها.

٦- أن ترتيب السور يدل علىٰ أنه لم يكن للاجتهاد فيه مجال، فجُعلت الحواميم والطواسين ولاءً، بخلاف المسبحات، والمبدوءات بـ (ألم) حيث لم تجعل متتالية، وفُرِّقت السور المكية عن بعضها، وكذا المدنية.

وأجيب: أن عدم ترتيب المسبحات ولاءً قد يكون لمراعاة مناسبات أخرىٰ أهم من مناسبة فواتح السور.

القول الثاني: أن ترتيب السور اجتهادي، وليس توقيفيًّا، ونسبه ابن حجر والسيوطي للأكثر، واستدلوا بأدلة منها:

١- قول عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وكانت الأنفال من أول ما أنزل عليه بالمدينة، وكانت براءة من آخر ما نزل من القرآن، وكانت قصتها شبيهة بقصتها، فظننت أنها منها، فمن هناك وضعتها في السبع الطوال، ولم أكتب بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم» أخرجه أبو داود.

وأجيب: أن الخلاف ينحصر في هاتين السورتين فقط؛ لموت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبل أن يبين ذلك، كما ورد عن عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أو يقال: بضعف هذا الأثر، كما ضعفه المحدث أحمد شاكر.

٢- حديث حذيفة بن اليمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أنه صلىٰ مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذات ليلة، فقرأ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ البقرة، ثم النساء، ثم آل عمران» أخرجه مسلم، قالوا: وهذا خلاف ترتيب هذه السور في المصحف العثماني.

وأجيب: بأن هذا دليل علىٰ جواز مخالفة الترتيب في القراءة لا في كتابة المصحف، أو يقال: إن هذا الترتيب كان قبل العرضة الأخيرة التي استقر عليها القرآن.

٣- أن ترتيب السور في المصاحف القديمة التي كانت بأيدي الصحابة لم يكن علىٰ ترتيب مصحف عثمان، بل كان بحسب اجتهاد أصحابها، فقد ذكر ابن النديم أنه رأىٰ عدة مصاحف، ذكر نسّاخها أنها مصحف ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وليس فيها مصحفان متفقان.

وأجيب: بأن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أحرقوا المصاحف التي بأيديهم، وأبقوا مصحف عثمان، فآل إجماعهم علىٰ الأخذ به.

٤- أثر عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا «أن رجلًا عراقيًّا سألها، فقال: يا أمّ المؤمنين، أريني مصحفك، قالت: لِمَ؟ قال: لعلّي أؤلّف القرآن عليه؛ فإنّه يقرأ غير مؤلّف، قالت: وما يضرّك أيَّه قرأتَ قبلُ، إنّما نزل أوّل ما نزل منه سورة من المفصّل فيها ذكر الجنّة والنّار...» الحديث، أخرجه البخاري.

وأجيب: لعل هذا كان قبل جمع المصاحف في عهد عثمان.

قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: « تجور قراءة هذه قبل هذه، وكذا في الكتابة، ولهذا تنوعتْ مصاحف الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ في كتابتها، لكن لما اتفقوا علىٰ المصحف في زمن عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ صار هذا مما سنّه الخلفاء الراشدون، وقد دلّ الحديث علىٰ أن لهم سنة يجب اتباعها ».

والأقرب أنه يجوز تغيير ترتيب السور عند قراءة القرآن الكريم؛ لفعل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في مواضع كثيرة، ولجريان عمل الأمة علىٰ ذلك في تعليم الصبيان القرآن الكريم، لكن يجب المحافظة علىٰ كتابته علىٰ ترتيب سوره في مصحف عثمان الذي أجمع عليه الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ؛ لمحل الإجماع.

وأما مصطلحات رسمه وضبطه، ووضع أسماء سوره، وترقيم آياته فليس بتوقيفي.

أسماء السور:

أسماء السور علىٰ أقسام، منها:

١- ما ثبت عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ كقوله: «**اقرؤوا الزهراوين: البقرة وسورة آل عمران**» أخرجه مسلم، وقوله: «**أُمُّ القرآن هي السبع المثاني والقرآن العظيم**» أخرجه البخاري.

٢- ما ثبتت تسميته عن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ومنه ما أخرجه البخاري عن سعيد بن جبير قال: قلت لابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: سورة الحشر، قال: قل: سورة بني النضير.

وقد يكون للسورة أكثر من اسم، كما في سورة الحشر وبني النضير، والإسراء وبني إسرائيل، ومحمد والقتال، وغافر والمؤمن، وذكر السيوطي للفاتحة خمسة وعشرين اسمًا.

وقد تسمى السورة بطرق منها:

أ- أن تسمّىٰ بكلمة في أولها، كسورتي ص، والطارق، وما يشتق من أولها اسم، كسورة الزلزلة.

ب- أو بكلمة وردت فيها، كسورتي الماعون والكوثر.

ج- أو بقصة ذكرت فيها، كسورتي الفيل، والبقرة.

د- أو بموضوعها، كسورة الإخلاص.

وقد تكون لها عدة تسميات لأجل هذه المعاني، فيقال: براءة، والفاضحة؛ لتكرر كلمة (ومنهم)، والتوبة لذكر قصة توبة الله علىٰ الثلاثة الذي خُلّفوا عن غزوة تبوك، وبحسب موضوعها؛ فقد سماها حذيفة: سورة العذاب، وابن عمر: المشقشقة، والحارث بن يزيد: المبعثرة، وقيل: البَحوث.

وقد أخرج مسلم عن سعيد بن جبير: قلتُ لابن عباس: سورة التوبة؟ قال: آلتوبة؟! قال: بل هي الفاضحة، ما زالت تنْزل: (ومنهم، ومنهم) حتىٰ ظنوا أن لا يبقىٰ منا أحد إلا ذُكِرَ فيها.

وقد تسمىٰ عدة سور باسم واحد، ومن ذلك تسمية البقرة وآل عمران بـ (الزهراوين)، وتسمية سورتي الفلق والناس بـ (المعوذتين)، وتسمية السور المبدوءة بـ (حم) بـ (الحواميم).

موضوعات السور:

اختلفت نظرة العلماء لها علىٰ أقوال:

١- فمن أهل العلم من اعتنىٰ بذكر موضوعات السور، كالفيروزآبادي (٨١٧هـ) في كتابه (بصائر ذوي التمييز)، والبقاعيّ (٨٨٥هـ) في كتابه (مصاعد النظر للإشراف علىٰ مقاصد السور)، وسيد قطب (١٣٨٥هـ) في كتابه (ظلال القرآن)، والطاهر بن عاشور (١٣٩٣هـ) في كتابه (التحرير والتنوير)، فجعلوا السورة كالوحدة الموضوعية، وذلك لأن ترتيب الآيات توقيفي.

وجاء عن ابن تيمية أنه وصف سورة القلم بأنها سورة الخُلُق.

٢- ومنهم من أنكره كالعز بن عبد السلام والشوكاني، واحتجو بأن القرآن نزل علىٰ أسباب مختلفة في نيّف وعشرين سنة، فلم يشترط فيه ارتباط أحد الكلامين بالآخر، ومن ربط ذلك فهو متكلّف لما لم يقدر عليه إلّا بربط ركيك يصان عن مثله حسن الحديث، فضلًا عن أحسنه.

٣- بل ذهب بعضهم إلىٰ تناسب ترتيب السور، بعضها بعد بعض، منهم أحمد بن الزبير الغرناطي في كتابه: (البرهان في تناسب سور القرآن)، والسيوطي في (تناسق الدرر في تناسب السور)، والبقاعي في (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور)؛ لأن ترتيب السور توقيفي علىٰ قول سبقتْ أدلته.

عدد الآيات والسور:

أجمع العلماء علىٰ أن عدد آيات القرآن ستة آلافٍ ومائتا آية، ثم اختلفوا في الزيادة، فمنهم من لم يزد علىٰ ذلك، ومنهم من زاد: أربع آيات، وقيل: أربع عشرة آية، وقيل: سبع عشرة آية، وقيل: تسع عشرة آية، وقيل: عشرون آية، وقيل: ست وثلاثون آية.

وعدد كلمات القرآن الكريم: ٧٧٤٣٩ كلمة، وقيل: غير ذلك.

وعدد حروفه: ٣٢٣٠١٥ حرفًا، وقيل: غير ذلك.

وعدد سور القرآن: قال الزركشي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « اعلم أن عدد سور القرآن العظيم باتفاق أهل الحل والعقد مائة وأربع عشرة سورة، كما هي في المصحف العثماني، أولها الفاتحة وآخرها الناس، وقال مجاهد: وثلاث عشرة بجعل الأنفال والتوبة سورة واحدة؛ لاشتباه الطرفين وعدم البسملة، ويرده تسمية النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كلًّا منهما ».





جمع القرآن الكريم

يقول الله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [سورة الحجر:٩]، **وقد مرّ جمع القرآن الكريم بثلاثة مراحل:**

المرحلة الأولى: الجمع في عهد النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

وكان القرآن مجموعًا في عهد النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بطريقين:

الأولىٰ: الحفظ في الصدور، وقد قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**خذوا القرآن من أربعة من عبد الله بن مسعود** - فبدأ به -، **وسالم مولىٰ أبي حذيفة، ومعاذ بن جبل، وأبيّ بن كعب**» متفق عليه، وكان من حفاظ الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أيضًا: زيد بن ثابت، وأبو الدرداء.

والثانية: الكتابة في الرقاع (وهي القطع من الجلد أو الورق)، وجريد النخل (وهي العُسُب)، والحجارة الرقيقة (وتسمىٰ اللِّخَاف)، وكان من كتّاب النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: علي بن أبي طالب، ومعاوية بن أبي سفيان، وزيد بن ثابت، وأبيّ بن كعب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ.

ولم يجمع القرآن في عهد النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأنهم كانوا يترقبون نزول ما يزاد عليه، أو ينسخ منه.

المرحلة الثانية: الجمع في عهد أبي بكر الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ:

لما قُتل في موقعة اليمامة سبعون قارئًا في السنة الثانية عشرة من الهجرة، منهم سالم مولىٰ أبي حذيفة، أشار عمر علىٰ أبي بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا بجمع القرآن؛ لئلا ليذهب كثير منه بموت ما بقي من القرّاء، فأمر أبو بكرٍ زيدَ بن ثابت رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا بجمعه، فجمعه من صدور الصحابة، ومما كتبوه فيه.

ففي صحيح البخاري أن زيد بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «أرسل إليّ أبو بكر مقتلَ أهل اليمامة، فإذا عمر بن الخطاب عنده، قال أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إن عمر أتاني فقال: إن القتل قد استحرَّ يوم اليمامة بقرّاء القرآن، وإني أخشىٰ أن يستحرَّ القتل بالقرّاء بالمواطن، فيذهب كثير من القرآن، وإني أرىٰ أن تأمر بجمع القرآن، قلت لعمر: كيف تفعل شيئًا لم يفعله رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قال عمر: هذا واللهِ خير، فلم يزل عمر يراجعني حتىٰ شرح الله صدري لذلك، ورأيت في ذلك الذي رأىٰ عمر، قال زيد: قال أبو بكر: إنك رجل شاب عاقل لا نتهمك، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فتتبع القرآن فاجمعه، فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل عليّ مما أمرني به من جمع القرآن، قلت: كيف تفعلون شيئًا لم يفعله رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قال: هو واللهِ خير، فلم يزل أبو بكر يراجعني حتىٰ شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فتتبعتُ القرآن أجمعه من العسب واللخاف، وصدور الرجال، حتىٰ وجدتُ آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري لم أجدها مع أحد غيره: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ [سورة التوبة:١٢٨] حتىٰ خاتمة براءة، فكانت الصحف عند أبي بكر حتىٰ توفاه الله، ثم عند عمر حياته، ثم عند حفصة بنت عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

وقد اختار الصديق زيد بن ثابت؛ لكونه من حفاظ القرآن، ومن كتّاب الوحي، ومن الشباب ذوي العقل والأمانة، ولأنه ممن شهد العرضة الأخيرة للقرآن الكريم.

وقد اشتمل جمع الصديق للقرآن علىٰ جمعه بالأحرف السبعة.

قال علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أعظم الناس أجرًا في المصاحف أبو بكر؛ فإنه أول من جمع ما بين اللوحين» أخرجه ابن أبي داود في المصاحف.

المرحلة الثالثة: الجمع في عهد عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

ولما اتسعت رقعة الأمة، وصار كلّ تالٍ يقرأ القرآن بما تعلّمه، ولا يعلم بقية الأحرف السبعة التي يقرأ بها القرآن، فكان أهل الكوفة يكتبون مصاحفهم علىٰ قراءة عبد الله بن مسعود، وكان أهل دمشق قد كتبوا مصحفهم علىٰ قراءة أبي الدرداء، وهكذا في بقية الأمصار، فكثر الاختلاف بين الناس في قراءة القرآن فأشار حذيفة بن اليمان علىٰ عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن يجمع المصحف، وذلك في سنة خمس وعشرين، في السنة الثانية أو الثالثة من خلافة عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ففي صحيح البخاري عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن حذيفة بن اليمان قدم علىٰ عثمان، وكان يغازي أهل الشأم في فتح أرمينية، وأذربيجان مع أهل العراق، فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة، فقال حذيفة لعثمان: يا أمير المؤمنين، أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارىٰ، فأرسل عثمان إلىٰ حفصة: أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف، ثم نردها إليك، فأرسلت بها حفصة إلىٰ عثمان، فأمر زيد بن ثابت، وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها في المصاحف، وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة: إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش، فإنما نزل بلسانهم، ففعلوا حتىٰ إذا نسخوا الصحف في المصاحف، ردّ عثمان الصحف إلىٰ حفصة، وأرسل إلىٰ كل أفق بمصحف مما نسخوا، وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق.

واختلف أهل العلم هل اشتمل جمع عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ للقرآن على الأحرف السبعة؟

القول الأول: أن المصاحف العثمانية اقتصرت علىٰ حرف واحد من الأحرف السبعة بحسب العرضة الأخيرة، ونسب للجمهور، واستدلوا:

۞ بأنهم لو اعتبروا الأحرف السبعة لتضمن القرآن اليوم الاختلاف في كتابة الكلمات، نحو: ضنين وظنين، والصراط والسراط، وهو غير موجود، وأجيب: بأن الأحرف السبعة طرق أدائية كالإمالة والادغام ونحوهما تؤخذ من المشافهة.

القول الثاني: أن المصاحف العثمانية اشتملت علىٰ الأحرف السبعة، واستدلوا بأدلة منها:

١- أن القول بكتابة القرآن علىٰ حرف واحد مُؤدّاه ضياع شيء من القرآن، وأجيب: أن القراءة بالأحرف السبعة ليست واجبة، بل هي رخصة.

٢- أن جمع عثمان ما هو إلا نسخ لجمع أبي بكر، وأجيب: أن جمع عثمان اشتمل أيضًا علىٰ إثبات القرآن بحرف قريش عند الاختلاف فيه.

واختلف في عدّ المصاحف العثمانية التي أرسلت للأمصار، فقال الأكثر: أربعة: كوفي، وبصري، وشامي، والمصحف الإمام، وقيل: خمسة، وزِيدَ: المكي، وقيل: ستة: وزِيدَ المدني، وقيل: سبعة بزيادة اليمني والبحريني، وعدم ذكر المصحف الإمام.

وأمر عثمانُ زيدَ بن ثابت أن يُقرئ بالمدني، وبعث عبد الله بن السائب مع المكي، والمغيرة بن أبي شهاب مع الشامي، وأبا عبد الرحمن السلمي مع الكوفي، وعامر بن عبد القيس مع البصري.

وكان زيد بن ثابت في المدينة يتفرغ في رمضان من كل سنة لعرض المصاحف، فيعرضون مصاحفهم عليه، وبين يديه مصحف أهل المدينة. أخرجه ابن أبي داود في المصاحف.

قال مصعب بن سعد: «أدركتُ الناس متوافرين حين حرق عثمان المصاحف فأعجبهم ذلك» أخرجه عمر بن شبّة في تاريخ المدينة، وإسناده صحيح، وروىٰ

ابن أبي داود عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: «والله ما فعل الذي فعل في المصاحف إلا عن ملإٍ منا جميعًا، قال: أرىٰ أن نجمع الناس علىٰ مصحف واحد، فلا تكون فرقة ولا اختلاف، قلنا: فنعمَ ما رأيت».

الفروق بين الجمعين:

وتظهر مما سبق الفروق بين جمع الصديق وعثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في أمور:

١- أن سبب جمع الصديق هو كثرة القتل في القراء، فخشي أن يذهب القرآن، وسبب جمع عثمان هو الاختلاف في قراءة القرآن، فخشي أن يتنازع الناس في القرآن ويختلفوا.

٢- أن جمع الصديق كان جمعًا لكل ما عند الناس في كتاب واحد، وجمع عثمان نسخ ما جُمِع في عهد الصديق، وكتابة ما اختلف فيه علىٰ لغة قريش، وقد روىٰ الترمذي بسنده: « وقال الزهري: فاختلفوا يومئذ في (التابوت) و(التابوه)، فقال القرشيون (التابوت)، وقال زيد: (التابوه) فرفع اختلافهم إلىٰ عثمان، فقال اكتبوه (التابوت)، فإنه نزل بلسان قريش »، وروىٰ الطبري قال هانئ مولىٰ عثمان: «كنتُ الرسول بين عثمان وزيد بن ثابت، فقال زيد: سله عن قوله: ﴿لم يتسن﴾، أو ﴿لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾ [سورة البقرة:٢٥٩] ، فقال عثمان: اجعلوا فيها هاء».

٣- أن الناس تركوا يقرؤون بما معهم بعد جمع الصديق، بينما ألزموا بحرق مصاحفهم، والقراءة بما في المصاحف العثمانية.

شبه حول جمع القرآن الكريم، والجواب عنها:

وقد أثار بعض أعداء الدين بعض الشبه حول جمع القرآن الكريم:

١- **الشبهة الأولى:** أن بعض القرآن قد ضاع بسبب النسيان، فقد قال الله تعالىٰ: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ۝٦ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ﴾ [سورة الأعلى:٦-٧]، وجاء في الصحيحين عن عائشة

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالتْ: «سمع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رجلًا يقرأ في سورة بالليل، فقال: يرحمه الله، لقد أذكرني كذا وكذا، آية كنت أنسيتها من سورة كذا وكذا».

والجواب: أن الله تعالىٰ قد قال: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ۝٦﴾، والله عَزَّوَجَلَّ يُذكّر رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بطرق كثيرة، ومنها أن يسمع الآية ممن حفظها من الصحابة فيذكرها، فلا يتركه ربه ينسىٰ شيئًا منه، وأما قوله تعالىٰ: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾، فمعناه: إلا ما ينسخه الله من القرآن الكريم، كما هو قول جمهور المفسرين، وما نُسخ فليس بقرآن، أو يحمل معناها علىٰ أنَّ حفظ القرآن في صدره من فضل الله وحده ومشيئته.

٢- **الشبهة الثانية:** أن القرآن فيه ما ليس منه بدليل إنكار ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لسورتي المعوذتين.

والجواب: أن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لم يجحد أن تكونا مما أنزله الله، وإنّما ظن أنهما وحي نزل به جبريل ليتعوذ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بهما، وخفي عليه أن تكونا قرآنًا، وغيره كان أعلم بهما، وأنّهما كانتا من القرآن، واتفاق الجميع علىٰ ذلك حجة عليه، وقد جاء ما يدل علىٰ كونهما قرآنًا دلالة صريحة من السنة المرفوعة، فقد أخرج مسلم عن عقبة بن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**أُنزل عليّ آيات لم ير مثلهنّ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾** [سورة الفلق:١]، **إلىٰ آخر السّورة ، و ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾** [سورة الناس:١] **إلىٰ آخر السّورة**»، وعنه «أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صلّىٰ بهما صلاة الصّبح للنّاس» أخرجه أحمد وأبو داود والنسائي، فأجمعتِ الأمة علىٰ كونهما من القرآن الكريم، بل هو كذلك قول كبار تلاميذ ابن مسعود، كالأسود بن يزيد النخعي، فقد سئل: «مِن القرآن هما؟ قال: نعم» أخرجه ابن أبي شيبة بسند صحيح.

٣- **الشبهة الثالثة:** زعم الروافض أن أبا بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حرّف بعض الآيات، كقوله تعالىٰ: ﴿أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ﴾ [سورة النحل:٩٢] ، قالوا: أصلها: ﴿ أن تكون أئمة أزكى من أئمتكم ﴾، وأنه حذف سورة الولاية من القرآن.

والجواب: أنها دعاوىٰ باطلة، ويكذبها إجماع الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ علىٰ جمع المصحف، وعدالة الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وتزكية علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لجمعه للقرآن، فقد قال: «أعظم الناس أجرًا في المصاحف أبو بكر؛ فإنه أول من جمع ما بين اللوحين» أخرجه ابن أبي داود في المصاحف.

ثم إن الخلافة قد انتهت إلىٰ علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بعد أبي بكر وعمر وعثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فما منعه أن يجهر وقتئذ بالحق في القرآن، وأن يصحح للناس ما أخطأ فيه أسلافه؟!

وقد أنكر الطبرسي – وهو من علماء الشيعة – ذلك في كتابه مجمع البيان، وقال ما نصه: « أما الزيادة فيه – أي القرآن – فمجمع علىٰ بطلانها، وأما النقصان فقد روي عن قوم من أصحابنا، وقوم من الحشوية، والصحيح خلافه، وهو الذي نصره المرتضىٰ، واستوفىٰ الكلام فيه غاية الاستيفاء ».

٤- **الشبهة الرابعة:** أن القرآن لم ينقل بالتواتر؛ بدليل ما روي عن زيد بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال في الجمع علىٰ عهد عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: حتىٰ وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري لم أجدها مع أحد غيره: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ [سورة التوبة:١٢٨] حتىٰ خاتمة براءة.

والجواب: أن الآيتين في ختام سورة التوبة لم تثبت قرآنيتهما بقول خزيمة وحده، بل ثبتت بأخبار كثير من الصحابة عن حفظهم في صدورهم، وإن لم يكونوا كتبوها في أوراقهم، ومعنىٰ قول زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لم أجدهما مع أحد غيره، أنه لم يجدهما مكتوبتين عند أحد إلا عند أبي خزيمة، فالذي انفرد به أبو خزيمة هو كتابتهما لا حفظهما، وليست الكتابة شرطًا في المتواتر.

٥- **الشبهة الخامسة**: أن قول الله تعالىٰ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾ [سورة آل عمران:١٤٤] هو من كلام أبي بكر زاده في القرآن، وقول الله تعالىٰ: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ [سورة البقرة:١٢٥] هو من كلام عمر زاده في القرآن.

والجواب: أن كلام أبي بكر الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ الثابت عنه هو قوله يوم مات النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أيها الناس، من كان يعبد محمدًا فإن محمدًا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت، ثم تلا هذه الآية: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾ [سورة آل عمران:١٤٤] إلىٰ آخرها، فثبت أنه تلاها علىٰ أنها قرآن، لا علىٰ أنها من قوله، وقد حفظها الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ كما حفظوا القرآن، وأما عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فقال للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلىٰ، فنزلت: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ [سورة البقرة:١٢٥]، فتمنّيه هو سبب نزول الآية، وليس هو الآية، والآية جاء فيها الفعل بصيغة الأمر، ولم يقرن بلفظ (لو).





كتابة المصحف والرسم العثماني

أذِن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأصحابه بكتابة المصحف، فقال كما في حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لا تكتبوا عني شيئًا إلا القرآن، ومن كتب عني شيئًا غير القرآن فليمحه» أخرجه مسلم، وذكر أهل العلم أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان له ثمانية وأربعون كاتبًا.

وقد كُتب القرآن بالرسم العثماني، والرسم العثماني هو: الطريقة التي ارتضاها عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لكتابة المصحف، من حيث عدد حروف الكلمة ونوعها، لا من حيث نوع الخط وجماله.

- **ككتابة**: (الصّلاة، الرّبا، آيات، يا لوط): الصلوة، الرّبوا، ءايت، يلوط، وهكذا.

وقد كتبت المصاحف بالخط الكوفي، ثم شاعتْ بخط النسخ.

وأمر عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من عيّنهم لكتابة المصحف عند الاختلاف بكتابته بلغة قريش.

وانقسم الرسم إلى قسمين:

الأول: ما سار علىٰ قواعد معروفة:

١- فمنه (الصّلاة، والزّكاة) كتبوهما بالواو بدلًا من الألف، وذلك علىٰ اعتبار أصلهما، وهو: (صلو، زكو).

٢- و(اللّيل) كتبت (الّيل) بلام واحدة للإدغام.

٣- (ليكونن، ولنسفعن) كتبتا (وَلَيَكُونًا)، (ولَنَسْفَعًا) بالتّنوين بدلًا من النّون علىٰ حكمها عند الوقف.

والثاني: ما لم يجرِ علىٰ قاعدة معينة، ولعل الصّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ كتبوه علىٰ اصطلاح الهجاء في ذلك الوقت.

حكم الرسم العثماني:

اختلف أهل العلم في حكم الرسم العثماني علىٰ أقوال:

١- **القول الأول**: أنه توقيفي، واستدلوا بأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال لمعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**ألقِ الدواة، وحرِّفِ القلم، وانصُبِ الباء، وفرّقِ السين، ولا تقور الميم، وحسّنِ الله، ومُدَّ الرحمن، وجوّدِ الرحيم**» أخرجه السمعاني في أدب الإملاء، ص(١٧٠).

وأجيب: بأنه حديث ضعيف، فيه الوليد بن مسلم، وهو مدلّس تدليس التّسوية، ومكحول لم يلق معاوية.

ثم إن نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان أميًّا لا يحسن القراءة ولا الكتابة، قال تعالىٰ: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [سورة العنكبوت: ٤٨].

واستدلوا كذلك: بإقرار الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كتّابَ الوحي علىٰ هذا الرسم.

٢- **القول الثاني**: أنه اصطلاحي، تجوز مخالفته، وهو قول ابن قتيبة، والباقلاني، وابن خلدون.

وأجيب: أن سنة عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ متبعة، وقد أجمع عليها الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ثم بهذا القول ستزول مصلحة احتمال الرّسم لسائر القراءات، وتميّز المصحف في خطّه ورسمه عن سائر الكتب؛ لخصوصية كتاب الله جَلَّ وَعَلَا.

٣- **القول الثالث**: يرخص في كتابته بالرسم الإملائي للتعليم، وهو قول العز بن عبد السلام والزركشي.

واستدلوا بالحاجة لتعليم الصبيان القرآن.

وأجيب: أن الاحتجاج بتعليم الصبيان غير مسلّم، فها هم يتعلمون اللغات الأجنبية بحروفها ولغاتها ويتقنونها، ومن السهل عليهم إتقان قراءة الخط العثماني.

٤- القول الرابع: أنه ليس توقيفيًّا، لكنه سنة عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وتلقته الأمة عنه بالقبول، فيكون ملزمًا، ولا تجوز مخالفته، وهو قول الجمهور.

ويؤيده: أن الرسم لم يخضع للاجتهاد، كقوله تعالىٰ: ﴿أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ﴾ [سورة النمل:٢١]، كُتبت بلام ألف وألف بعد ذلك، ولم يُكتب في القرآن لها نظير، وقوله: ﴿فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ ۝﴾ [سورة القمر:٥] بغير ياء، ﴿وَمَا تُغْنِي ٱلْآيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ﴾ [سورة يونس:١٠١] [يونس:١٠١] بالياء، ومثل لفظة (إنما) تكتب مفصولة وموصولة، ففي قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَءَاتٍ﴾ [سورة الأنعام:١٣٤] كُتِبت مفصولة، وفي قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ۝﴾ [سورة الذاريات:٥] كُتِبت موصولة.

وقد سئل الإمام مالك: أرأيتَ من استكتب مصحفًا اليوم، أترىٰ أن يكتب علىٰ ما أحدث الناس من الهجاء اليوم؟ فقال: لا أرىٰ ذلك، ولكن يكتب علىٰ الكتبة الأولىٰ، قال أبو عمرو الداني: ولا مخالف له في ذلك من علماء الأمة، وقال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: تحرم مخالفة خط مصحف عثمان في ياء، أو واو، أو ألف، أو غير ذلك.

فالصواب هو قول الجمهور، ولا حرج في كتابة آيات أو كلمات محدودة في كتب أو مقالات بغير الرسم العثماني عند الحاجة.

وقد سمي القرآن المكتوب بالمصحف؛ أخذًا من قوله تعالىٰ: ﴿رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتۡلُواْ صُحُفٗا مُّطَهَّرَةٗ ۝٢﴾ [سورة البينة:٢]، وعُرِّف اصطلاحًا: بأنه الجامع للصحف المكتوبة بين الدفتين.

ومن أشهر كتب الرسم: كتاب (المقنع في معرفة مرسوم مصاحف أهل الأمصار) لأبي عمرو الداني (٤٤٤هـ).

نقط القرآن:

أول من وضع علامات تدل علىٰ الحركات في المصحف هو أبو الأسود الدؤلي (٦٧ أو ٦٩هـ)، فجعل الفتحة نقطة فوق الحرف، والكسرة نقطة تحت الحرف، والضمة نقطة أمام الحرف، وجعل التنوين نقطتين، ويسمىٰ (الشكل).

ثم نقط المصحف نصر بن عاصم الليثي البصري (٩٠هـ)، تلميذ أبي الأسود الدؤلي؛ للتمييز بين الحروف المتشابهة في الرسم، مثل الدال والذال، والراء والزاي ونحوها، ويسمىٰ (الإعجام).

ثم غيّر الخليل بن أحمد الفراهيدي البصري (ت ١٧٠هـ) حركات الدؤلي إلىٰ حروف صغيرة، فالألف تناسبها الفتحة، فجعلت الفتحة ألفًا منبطحة، ووضعها فوق الحرف، وأخذ من الواو الضمة، وجعلها فوق الحرف أيضًا، وأخذ الكسرة من الياء، وجعلها تحت الحرف معقوفة، وأخذ رمز الشدة () من أول كلمة شديد، وأخذ علامة السكون، وهي رأس خاء من أول كلمة خفيف.

وأُطلق علىٰ هذا العلم اسم علم النّقط والشّكل، ثم سمي بعلم الضبط، ومن أشهر كتبه: كتاب (المحكم في علم نقط المصاحف)، لأبي عمرو الداني (٤٤٤هـ).

وعامة وجوه اختلاف القراءات الصّحيحة يرجع إلىٰ النّقط والشّكل، مع اتّحاد الرّسم.

مثاله قوله تعالىٰ: ﴿فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ [النساء:٩٤، والحجرات:٦]، هكذا قرأها من السّبعة نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وعاصم، وقرأها حمزة والكسائيّ: ﴿فتثبّتوا﴾، فاختلف النّقط، والرّسم متّحد، وكذا اختلاف التّشديد والتّخفيف، نحو: (يُنَزِّل)، و(يُنْزِل).

حكم نقط المصحف:

وللعلماء في نقط المصاحف مذاهب:

١- **القول الأول**: المنع؛ لحديث: «**لا تكتبوا عني شيئًا سوىٰ القرآن، ومن كتب عني شيئًا سوىٰ القرآن فليمحه**» أخرجه مسلم، ولخوف تغييره، وهو قول الشعبي والنخعي.

٢- **القول الثاني**: الجواز، وهو قول الجمهور؛ لأن النقط لا ينافي الأمر بالتجريد، ولأنه ليس له صورة، فيتوهم لأجلها ما ليس بقرآن قرآنًا، وقد أمِنّا اليوم من تغيير القرآن.

٣- **القول الثالث**: قال الإمام مالك: أما هذه المصاحف الصغار فلا أرىٰ بأسًا، وأما الأمهات فلا.

تحزيب المصحف:

قُسِّمَ القرآن إلىٰ ثلاثين جزءًا؛ ليُقرأ في شهر، وقد نقل هذا التقسيم أبو عمرو الداني في كتابه (البيان في عدِّ آي القرآن)، ولم يذكر سبب اختيار هذه المواطن، وقَسَّمَ بعضهم القرآن إلىٰ سبعة وعشرين جزءًا؛ ليختم في ليلة السابع والعشرين من رمضان.

وكان السلف يعتمدون التعشير في التعليم، قال عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كنا إذا تعلمنا من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عشر آيات من القرآن لم نتعلم من العشر الذي نزلتْ بعدها حتىٰ نعلم ما فيه.

اصطلاحات الضبط:

اعتمد المغاربة علىٰ وقوف الهبطيّ (٩٣٠هـ)، وهي تعتمد علىٰ بيان محل الوقف الجائز دون تفصيل، بينما قسَّم المشارقة الوقوف إلىٰ أربعة: التام، والكافي، والحسن، والقبيح، وزاد السجاوندي (٥٦٠هـ): اللازم، والمرخص لضرورة، وزاد محمد الصادق الهندي: الوقف الأولىٰ، والوصل الأولىٰ، ووقف التعانق، ومنهما استفاد شيخ المقارئ المصرية في وقته محمد بن علي الحسيني في وضع المصحف المصري، وتبعته لجنة مصحف المدينة النبوية في رموزه، لكنهم في النسخة الثانية من مصحف المدينة النبوية حذفوا الوقف الممنوع.

والوقف علىٰ رأس الآية سنة، ولو تعلق الكلام بما بعده، كما دلّ عليه أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أوقف ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند قول الله تعالىٰ: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾﴾ [سورة النساء:٤١]، مع تعلقه بما بعده.

ويكاد الإجماع ينعقد علىٰ أن أول مصحف أخرجته المطابع كان في سنة ١٦٩٤م، وقد وقف علىٰ طبعه هنكلمان في مدينة هامبورج بألمانيا (١).

(١) وقيل: ظهرت أول طبعة للقرآن الكريم في البندقية في إيطاليا في حدود سنة ٩٣٧هـ - ١٥٣٠ م، ولكن السلطات الكنسية أصدرت أمرًا بإعدامه حال ظهوره، وظهر فيها أخطاء فاحشة، أما في العالم الإسلامي فقد ظهرت أول طبعة إسلامية للقرآن في سانت بطرسبرج في روسيا، سنة ١٢٠١هـ - ١٧٨٧م.



القراءات والقرّاء السبعة

تعريف علم القراءات:

علم القراءات: هو العلم بكيفية أداء كلمات القرآن، واختلافها، معزوًّا لقائله.

نشأة القراءات:

كان لبعض الصحابة مدارس إقراء خاصة بهم، كمدرسة ابن مسعود في الكوفة، وزيد بن ثابت في المدينة، وأبي الدرداء بدمشق، ثم لتلاميذهم من بعدهم، وربما درس القارئ علىٰ أكثر من شيخ، كسعيد بن جبير (ت ٩٥هـ) الذي كان يؤمّ الناس في شهر رمضان، فيقرأ ليلةً بقراءة عبد الله بن مسعود، وليلةً بقراءة زيد بن ثابت، حتىٰ كان القرن الثاني، وسُمّي عصر الاختيار، فجمع بعض من تولىٰ الإقراء قراءة اختارها لنفسه مما تلقّاه من مشايخه، وصار يقرئ ويُعلِّم بها؛ حتىٰ اشتهرت عنه، ومن ذلك قراءة عاصم التي اختارها مما قرأه علىٰ مشايخه، يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما أقرأني أحد حرفًا إلا أبو عبد الرحمن السلمي، وكان أبو عبد الرحمن قد قرأ علىٰ علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وكنت أرجع من عند أبي عبد الرحمن فأعرض علىٰ زر بن حبيش، وكان زر قد قرأ علىٰ عبد الله، فجمع بين قراءة الجماعة، وهم أهل المدينة، وقراءة أهل الكوفة.

ونافع بن عبد الرحمن إمام أهل المدينة قد قال: قرأتُ علىٰ سبعين من التابعين، وقال: فنظرتُ إلىٰ ما اجتمع عليه اثنان منهم فأخذته، وما شذّ فيه واحد تركته، حتىٰ ألّفتُ هذه القراءة في هذه الحروف.

وذكر ابن الجزري أن ابن عباس كان يقرأ القرآن علىٰ قراءة زيد بن ثابت، إلا ثمانية عشر حرفًا أخذها من قراءة ابن مسعود.

وتوقف الاختيار في القرن الثالث، فقد ذكر الذهبي أن رجلًا سأل ابنَ مجاهد: لِمَ لا يختار الشيخ حرفًا يحمل عنه؟ فقال: نحن أحوج إلىٰ أن نُعمل أنفسنا في حفظ ما مضىٰ عليه أئمتنا، أحوج منا إلىٰ اختيار حررف يقرأ به مَن بعدنا.

فالقراءات السبع ليست هي الأحرف السبعة، بل الأحرف السبعة ما رخّص النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للناس في زمانه بأن يقرؤوا بلهجتهم؛ لصعوبة تغييرها، أما القراءات السبع فهي اختيار ابن مجاهد لقراءات سبعة من علماء القراءة الذين عاشوا في القرن الثاني الهجري، وقد أفردهم في كتاب مستقل.

وأول من جمع ما قرأ علىٰ شيوخه أبو عبيد القاسم بن سلام (٢٢٤هـ)، وجعلهم خمسة وعشرين قارئًا، ثم جاء من بعده أبو بكر أحمد بن موسىٰ بن مجاهد (٣٢٤هـ) فاقتصر علىٰ سبعة منهم، وهم عبد الله بن عامر الشامي (١١٨هـ)، وعبد الله بن كثير المكي (١٢٠هـ)، وعاصم بن أبي النجود الكوفي (١٢٨هـ)، وأبو عمرو بن العلاء البصري (١٥٤هـ)، وحمزة بن حبيب الكوفي (١٥٦هـ)، ونافع بن عبد الرحمن المدني (١٦٩هـ)، وعلي بن حمزة الكسائي الكوفي (١٨٩هـ).

واختار مالك وأحمد قراءة نافع، ثم ثنّىٰ أحمد بقراءة عاصم، واختار الشافعي قراءة ابن كثير، وعلىٰ رواية حفص اليوم أكثر مصاحف المسلمين وقراءتهم.

ثم ألحق بهم العلماء ثلاثة، وهم: أبو جعفر يزيد المدني (١٣٣هـ) شيخ نافع، ويعقوب الحضرمي البصري (٢٠٥ه) تلميذ أبي عمرو، وخلف بن هشام البغدادي (٢٢٩هـ) تلميذ تلامذة حمزة.

شروط القراءة:

اشترط أهل القراءة للقراءة الصحيحة شروطًا ثلاثة:

١- صحة الإسناد، فما لم يصح سنده فهو ضعيف.

٢- موافقة اللغة العربية، ولو بوجه من الوجوه.

٣- موافقة أحد المصاحف العثمانية، ولو احتمالًا.

وما خالفها يسمىٰ شاذًّا.

ومثاله: قراءة أسماء بنت يزيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: «سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقرأ: ﴿۞ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ٥٣﴾ [سورة الزمر:٥٣]» أخرجه أحمد والترمذي، وعن سعد بن أبي وقّاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنّه كان يقرأ هذه الآية: ﴿وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ لأمّ﴾ [سورة النّساء: ١٢].

قال في الطيبة:

فكلُّ ما وافقَ وجهَ نحوِ ... وكان للرسم احتمالًا يحوي

وصحّ إسنادًا هو القرآنُ ... فهذه الثلاثة الأركانُ

وحيثما يختلُّ ركنٌ أثبتِ ... شذوذَه لو أنه في السبعةِ

ومن مسميات علم القراءات:

أ- **القراءة**: وهي ما نُسب إلىٰ أحد أئمة القراءات، إذا اتفقت الروايات والطرق عنه.

ب- **الرواية**: وهي ما نُسب إلىٰ الآخذ عن هذا الإمام، ولو بواسطة.

ج- **الطريق**: وهو ما نُسب إلىٰ الآخذ عن الراوي، ولو نزل.

د- **الوجه**: وهو ما نُسب إلىٰ تخيّر القارئ من قراءة يثبت عليها، وتؤخذ عنه.

قال السيوطي: « الخلاف إن كان لأحد الأئمة السبعة أو العشرة أو نحوهم، واتفقت عليه الروايات والطرق عنه فهو قراءة، وإن كان للراوي عنه فرواية، أو لمن بعده فنازلًا فطريق، أو لأعلىٰ هذه الصفة مما هو راجع إلىٰ تخير القارئ فيه فوجه ».

ومن فوائد تعدد القراءات:

١- التسهيل علىٰ الأمة في قراءة القرآن الكريم.

٢- توضيح معنىٰ الآية، والأحكام المتعلقة بها، كقراءة: ﴿ وَأَرْجُلَكُمْ ﴾ [سورة المائدة:٦] بفتح اللّام عطفًا علىٰ الأيدي في الغسل، في قراءة نافع وابن عامر والكسائيّ وعاصم من رواية حفص، وبكسر اللّام عطفًا علىٰ الرؤوس في المسح، في قراءة الباقين، وعاصم من رواية أبي بكر بن عيّاش، فدلتْ علىٰ جواز المسح علىٰ الخفين.

٣- إعجاز القرآن الكريم من حيث حفظه مع هذه الأوجه، ومن جهة دلالاته علىٰ المعاني الكثيرة مع إيجازه.

مثال على علم القراءات:

ومن أمثلة القراءات: قراءات القراء السبعة في سورة الفاتحة:

١ - قرأ عاصم والكسائي (مالك)، وقرأ الباقون من السبعة (مِلك).

٢ - قرأ عاصم ونافع وأبو عمرو وابن عامر والكسائي (صراط، الصراط) بالصاد، وقرأ ابن كثير في رواية عنه (السراط)، وقرأ حمزة بين الصاد والزاي (صاد مجهورة).

٣ - قرأ حمزة (عليهم) بضم الهاء، والباقون بكسرها.

٤ - قرأ ابن كثير (عليهمو) في الوصل، والباقون بإسكان الميم من غير واو.

وينظر: السبعة لابن مجاهد، ص: ١٠٤، والتيسير للداني، ص: ١٨

المؤلفات في علم القراءات:

من أشهر مؤلفات هذا العلم: التبصرة في القراءات السبع، لمكي بن أبي طالب القيسي (٤٣٧هـ)، والتيسير في القراءات السبع، لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني (٤٤٤هـ)، الذي نظمه أبو محمد القاسم بن فيرة الشاطبي (٥٩٠هـ) في منظومته اللامية

الشهيرة المسماة: (حرز الأماني ووجه التهاني)، وشرحها كثير من أهل العلم، منهم أبو شامة عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي (٦٦٥هـ) في كتابه (إبراز المعاني).

ومن أشهر الكتب المؤلفة في القراءات العشر كتاب (النشر في القراءات العشر) لابن الجزري (٨٣٣ هـ).

ومن أراد أن يتعلَّم علم القراءات، فليبدأ بتعلم قراءة بلده، ثم يتعلم الشاطبية؛ ليتعلم القراءات السبع، ثم الدُّرة لابن الجزري ليتمم العشر الصغرىٰ، ثم الطّيبة لابن الجزري أيضًا ليتمم العشر الكبرىٰ، ثم الفوائد المعتبرة للمتولي؛ ليتعلم القراءات الأربع الزوائد: الحسن البصري (١١٠هـ)، وابن محيصن المكي (١٢٣هـ)، والأعمش الكوفي (١٤٨هـ)، واليزيدي البصري (٢٠٢هـ).





التفسير: معناه وحكمه

معنى التفسير:

التفسير في اللغة: هو الكشف والبيان، مأخوذ من مادة (فَسَرَ)، وهي بمعنىٰ الكشف، وجعل الراغب الأصفهاني مادة (سفر) تدل علىٰ كشف المعنىٰ المعقول، نحو قولهم: فسَّر الكلام؛ أي بيّنه، ومادة (فسر) تدل علىٰ كشف المعنىٰ المحسوس، نحو قولهم: فسَر عن ذراعه؛ أي كشف عنها، وامرأة سافرة، وأسفر الصبح.

والتفسير اصطلاحًا: هو معرفة معاني كلام الله المعجز بحسب القدرة البشرية.

وهو العلم الأهم في علوم القرآن.

وما الفرق بين التفسير والتأويل؟

الجواب:

۞ أن التأويل يطلق علىٰ عدة معانٍ:

١- التأويل بمعنىٰ معرفة حقيقة وقوع الأشياء، وقد انفرد الله تعالىٰ بمعرفة حقائق صفاته واليوم الآخر، قال تعالىٰ: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأۡوِيلَهُۥۚ يَوۡمَ يَأۡتِي تَأۡوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلۡحَقِّ﴾ [سورة الأعراف:٥٣].

٢- والتأويل يطلق علىٰ معنىٰ التفسير، وبيان معاني الألفاظ، قال تعالىٰ: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩﴾ [سورة النساء:٥٩].

لذا اختلف في الوقف علىٰ قوله تعالىٰ: ﴿إِلَّا ٱللَّهُ﴾ في قوله: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ [سورة آل عمران:٧]، فقيل: التأويل هنا بمعنىٰ حقيقة وقوع الأشياء، فيقف علىٰ: ﴿إِلَّا ٱللَّهُ﴾، وقيل: بمعنىٰ معرفة معاني الألفاظ، فيصلها بقوله تعالىٰ: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ﴾ [سورة آل عمران:٧] الآية.

٣- ويطلق التأويل عند المتأخرين علىٰ صرف المعنىٰ عن ظاهره إلىٰ غيره لدليلٍ دلَّ عليه.

حكم علم التفسير:

حكم تعلم التفسير واجب، وقد دلتْ علىٰ ذلك أدلة كثيرة، منها:

١- قول الله تعالىٰ: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ [سورة ص:٢٩]، وقوله: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾ [سورة محمد:٢٤]، ولا يتم التدبر إلا بمعرفة معاني القرآن الكريم، فهو واجب بالنص بدلالة التضمن؛ لأننا أمرنا بالتدبر، والتدبرُ هو التأمل في الألفاظ للوصول إلىٰ معانيها، ولا يمكن التدبر والاتعاظ بما في القرآن بدون فهم معانيه.

٢- قول الله تعالىٰ: ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ [سورة الأعراف:٣]، واتباعه يكون بتصديق أخباره، والعمل بأحكامه، ولا يكون ذلك إلا بفهم معانيه، فهو واجب بدلالة اللازم، وقد كان السلف إذا تعلموا عشر آيات، لا يتجاوزنها حتىٰ يتعلموا معانيها، قال أبو عبد الرحمن السلمي: حدثنا الذي كانوا يقرئوننا القرآن كعثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود وغيرهما، أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ عشر آيات، لم يجاوزوها، حتىٰ يتعلموا ما فيها من العلم والعمل، قالوا: فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعًا.

٣- ووجوب تعلمه وتعليمه علىٰ أهل العلم آكد، بل هو فرض كفاية عليهم، لا يجوز أن تخلو الأمة ممن يعلّمها معاني القرآن الكريم، قال الله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾ [سورة آل عمران:١٨٧]، ووجه الدلالة: أن الأمر بالتبيين والبيان نوعان: بيان ألفاظه وبيان معانيه، والثاني هو إخراج اللفظ من حال الخفاء إلىٰ حال التجلي والاتضاح، وهو معنىٰ التفسير.

ويجب الحذر عند تفسير كلام الله من أن يُفسر علىٰ غير مراد الله تعالىٰ، فيكون ذلك من الكذب علىٰ الله عَزَّوَجَلَّ، وقد قال تعالىٰ: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [سورة الزمر:٦٠].

أقسام التفسير من حيث معرفة معانيه:

جعل ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا التفسير علىٰ أربعة أقسام:

١- وجه تعرفه العرب من كلامها، وهذا ما يعرفونه من معاني الألفاظ والتراكيب، وأساليب الخطاب؛ كقوله تعالىٰ: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾﴾ [سورة الدخان:٤٩]، يعرف العربي أنه أسلوب تهكم وامتهان.

٢- وتفسير لا يعذر أحد بجهله، وهو ما يحتاجه لإقامة دينه، من اعتقاد وعمل، كقوله تعالىٰ: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [سورة البقرة:٤٣].

٣- وتفسير يعلمه العلماء: وهو ما يستنبطونه من معاني القرآن وأحكامه بما معهم من علوم الآلات، كقوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَـَٔاتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ ۚ﴾ [سورة النساء:٣٣]، قال قتادة: وذلك أن الرجل كان يعاقد الرجل في الجاهلية، فيقول: هدمي هدمك ودمي دمك وترثني وأرثك، نسخ ذلك بقوله تعالىٰ: ﴿وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ ۗ﴾ [سورة الأنفال:٧٥]؛ لأنها متأخرة، فتنسخ الآية المتقدمة، وهذا مما يعلمه العلماء.

٤- وتفسير لا يعلمه إلا الله، ومن ادعىٰ علمه فقد كذب:، وهو ما استأثر الله تعالىٰ بعلمه، كقوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ لَا يَعۡلَمُهُمۡ إِلَّا ٱللَّهُۚ﴾ [سورة إبراهيم:٩].

هل بيّن النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ لأصحابه جميع القران؟

لأهل العلم قولان:

١- أن النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ بيّن جميع القرآن لأصحابه؛ لقوله تعالىٰ: ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ٤٤﴾ [سورة النحل:٤٤]، بدليل أنهم كانوا لا يتعلمون عشر آيات إلا مع تعلّم معانيها، قال مجاهد: عرضتُ المصحف علىٰ ابن عباس ثلاث عرضات من فاتحته إلىٰ خاتمته، أوقفه عند كل آية منه، وأسأله عنها، واختاره ابن تيمية.

٢- أن النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ بيّن ما أشكل من القرآن لأصحابه، دون غيره، بدليل قول ابن عباس السابق في أقسام التفسير، قال ابن كثير في تفسير: ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ﴾ [سورة النحل:٤٤]: «**فتفصل لهم ما أجمل، وتبين لهم ما أشكل**»، واختاره السيوطي.

ترجمة القرآن:

هي نقل معناه إلىٰ لغةٍ أخرىٰ.

وهي علىٰ نوعين:

الأول: ترجمة حرفية: بأن يضع إزاءَ كل كلمة من القرآن كلمة من اللغة الأخرىٰ، مع مراعاة النظم والترتيب.

وحكمها: أنها مستحيلة؛ لاختلاف المفردات والتراكيب، ومحرمة للاستغناء عنها بترجمة المعاني، ولأنها لا يمكن أن تؤثر في النفوس كتأثير كلام الله عَزَّوَجَلَّ، إلا أن يترجم كلمة معينة، دون تركيب جملة كاملة.

الثاني: ترجمة معنوية (تفسيرية): وهي نقل المعنىٰ إلىٰ لغةٍ أخرىٰ، مع عدم مراعاة النظم والترتيب.

حكم ترجمة القرآن:

حكمها: الجواز، وقد تكون واجبة للبلاغ، وإنما تجوز بشروط:

١- أن تكون ثمة حاجة داعية لها.

٢- ألا يجعلها بديلةً عن القرآن، بل يضيفها بجواره.

٣- أن يكون المترجم عالِمًا بمدلولات الألفاظ في اللغتين، وبما يقتضيه السياق، وبالمعاني الشرعية.

٤- أن يكون مسلمًا أمينًا ثقة في القيام بهذه المهمة الجليلة.





المحكم والمتشابه

معنى المحكم والمتشابه:

الإحكام والتشابه باعتباره وصفًا للقرآن الكريم علىٰ ثلاثة أنواع:

الأول: الإحكام التام للقرآن الكريم كله، قال تعالىٰ: ﴿كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝١﴾ [سورة هود:١] الآية.

- **ومعنىٰ الإحكام هنا:** الإتقان والجودة في ألفاظه ومعانيه، فهو صدق في الأخبار وعدل في الأحكام.

الثاني: التشابه التام للقرآن الكريم كله، قال تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ ۝٢٣ أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجۡهِهِۦ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ وَقِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ ذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ تَكۡسِبُونَ ۝٢٤ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ فَأَتَىٰهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَشۡعُرُونَ ۝٢٥ فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلۡخِزۡيَ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ۝٢٦﴾ [سورة الزمر:٢٣-٢٦] الآية.

- **ومعنىٰ التشابه هنا:** أي أنه يُشْبِهُ بعضه بعضًا في الجودة والاتقان، ويصدّق بعضه بعضًا.

الثالث: الإحكام الخاص ببعض آياته، والتشابه الخاص ببعضها الآخر:

قال تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ...﴾ [سورة آل عمران:٧] الآية.

- **ومعنىٰ الإحكام في هذا القسم**: هو ظهور المعنىٰ ووضوحه فلا خفاء فيه، فالمحكم: ما كان له معنىٰ واحد، ولا يحتمل وجوهًا كثيرة.

وحكمه: وجوب الإيمان والعمل به.

ومثاله قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ﴾ [سورة الحجرات:١٣] ، فمعناه واضح، فنعتقده، ونعمل بمقتضاه.

- **ومعنىٰ التشابه في هذا القسم**: هو عدم ظهور المعنىٰ وخفاؤه، فالمتشابه: هو ما احتمل أكثر من معنىٰ، ووجوهًا كثيرة.

وحكمه: أن يُفسّر المتشابه بما يوافق معنىٰ المحكم، قال تعالىٰ: ﴿مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ [سورة آل عمران:٧]، ويُرَدُّ بذلك علىٰ الزائغين الذين يفسرون المتشابه بأهوائهم، قال تعالىٰ: ﴿وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا ٨٢﴾ [سورة النساء:٨٢]، وقال: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ﴾ [سورة آل عمران:٧].

ومثاله: ﴿بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ﴾ [سورة المائدة:٦٤]، قد يفهم بعضهم أن يدي الله تعالىٰ كأيدي المخلوقين، أو أنهما يدانِ حقيقيتان، لا تُشابه أيدي المخلوقين، والأخير هو الصواب، ويؤيده قوله تعالىٰ: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾ [سورة الشورى:١١].

ومن الأمثلة كذلك: قوله تعالىٰ: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنۡ حَسَنَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٖ فَمِن نَّفۡسِكَۚ﴾ [سورة النساء:٧٩]، ويقول في موضع آخر: ﴿وَإِن تُصِبۡهُمۡ حَسَنَةٞ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنۡ عِندِكَۚ قُلۡ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ﴾ [سورة النساء:٧٨]، والجمع بينهما أن السيئة تنسب للعبد فعلًا، ولله تعالىٰ خلقًا وتقديرًا.

أقسام المتشابه:

والتشابه قسمان:

١- **تشابه حقيقي**: لا يعرف معناه إلا الله تعالىٰ، ككيفية صفات الله تعالىٰ وحقائق الأمور الغيبية، قال تعالىٰ: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾﴾ [سورة طه: ١١٠].

ومثاله قول الله تعالىٰ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾﴾ [سورة طه: ٥]، فلا يعلم كيفية الاستواء إلا الله تعالىٰ، وقد سئل الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كيف استوىٰ؟ قال: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة.

٢- **تشابه نسبي**: وهو الذي يعلمه بعض العلماء ويجهله بعضهم، كمعاني بعض الآيات، وطريقة ردّ المتشابه إلىٰ المحكم، ودفع التعارض، قال تعالىٰ: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [سورة النحل: ٤٤].

ومثاله: قوله تعالىٰ: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [سورة التكوير: ٢٨-٢٩]، فلا يحسن بعض الناس فهم هاتين الآيتين، فإذا رجعوا لأهل العلم بيّنوا لهم أن العبد له مشيئة وقدرة وفعلًا، ولا تخرج مشيئته عن مشيئة الله تعالىٰ؛ لأن مشيئته وقدرته وفعله هي خلقٌ من الله عَزَّوَجَلَّ.

الحكمة من وجود المتشابه في القرآن:

فإن قيل: ما الحكمة من وجود المتشابه في القرآن الكريم؟

فالجواب: أن ذلك امتحان وابتلاء للعباد:

- هل يتبعون ما أحكمه الله، فيَسلمون من البدع والضلالات.
- أم يعرضون عن كتاب الله، فيكفرون ويُلحدون؟
- أم يتبعون أهواءهم، فيحكمونها في المتشابه، فيبتدعون، ويفرقون الأمة؟





طرق التفسير (١): تفسير القرآن بالقرآن

أقوى طرق تفسير القرآن أن يفسر بالقرآن، فالله جَلَّجَلَالُهُ أعلم بمراده، وله طرق:

١- أوضحه أن يكون السؤال عن المعنىٰ والجواب من القرآن، كقوله تعالىٰ: ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ۝١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ۝٢ ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ ۝٣﴾ [سورة الطارق:١-٣].

٢- ومنه: المتبوع الذي يُتبع بوصفه، أو ببدل منه، كقوله تعالىٰ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ۝٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ۝٦٣﴾ [سورة يونس:٦٢-٦٣]، وقوله: ﴿لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ تُلۡقُونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ﴾ [سورة الممتحنة:١].

٣- ومنه تفسير لفظة في آية بلفظة أخرىٰ أوضح منها في آية أخرىٰ، كقوله تعالىٰ: ﴿وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ حِجَارَةٗ مِّن سِجِّيلٍ ۝٧٤﴾ [سورة الحجر:٧٤]، بقوله تعالىٰ: ﴿لِنُرۡسِلَ عَلَيۡهِمۡ حِجَارَةٗ مِّن طِينٖ ۝٣٣﴾ [سورة الذاريات:٣٣]؛ فالسجيل: الطين؛ لكونهما في نفس القصة، ولذكر الحجارة في الآيتين.

٤- ومنه جمع القراءات، وحمل بعضها علىٰ بعض، كقوله تعالىٰ: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا﴾ [سورة المائدة:٣٨]، قرأ ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ﴿فاقطعوا أيمانهما﴾.

٥- ومنه الجمع بين ما يُتوهّم أنه مختلف، كخلق آدم من تراب، ومن طين، ومن حمأ مسنون، ومن صلصال كالفخار، وهي أطوار ما خُلِق منه.

٦- ومنه التفسير الموضوعي، كتفسير ظل الجنة: بأنه مدود، وظليل، ودائم، وهكذا.

٧- ومنه نوع قد يخفىٰ، لكنه يتميز بوجود بعض الروابط بين الآيتين، كتفسير قولـه تعالـىٰ: ﴿يَوۡمَئِذٖ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَعَصَوُاْ ٱلرَّسُولَ لَوۡ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضُ﴾ [سورة النساء:٤٢] بقوله تعالىٰ: ﴿وَيَقُولُ ٱلۡكَافِرُ يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ تُرَٰبَۢا ٤٠﴾ [سورة النبأ:٤٠]، وقوله: ﴿أَوَلَمۡ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ كَانَتَا رَتۡقٗا فَفَتَقۡنَٰهُمَاۖ﴾ [سورة الأنبياء:٣٠]، بقوله: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ ١١ وَٱلۡأَرۡضِ ذَاتِ ٱلصَّدۡعِ ١٢﴾ [سورة الطارق:١١-١٢]، أي فتق السماء بالرجع (وهو المطر)، والأرض بالصدع (وهو النبات).

٨- ومنه الأشباه والنظائر: فلفظ الأزواج في القرآن جاء علىٰ ثلاثة معان: الزوجات، كقوله تعالىٰ: ﴿وَلَهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ﴾ [سورة البقرة:٢٥]، والأنواع، كقوله: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَزۡوَٰجَ كُلَّهَا﴾ [سورة يس:٣٦]، والأشباه القرناء، كقوله: ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتۡ ٧﴾ [سورة التكوير:٧]، وأشبه المعاني في تفسير الأزواج في قوله تعالىٰ: ﴿ٱحۡشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزۡوَٰجَهُمۡ﴾ [سورة الصافات:٢٢] قرناءهم.

٩- ومنه خلافهم في تفسير آية، فتوضحه آية أخرىٰ، كالخلاف في قوله تعالىٰ: ﴿وَلَهُمۡ عَذَابٞ وَاصِبٌ ٩﴾ [سورة الصافات:٩]، قيل: دائم، وقيل: موجع، يحمل علىٰ الدائم، كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًاۚ﴾ [سورة النحل:٥٢].

وأقوى هذا النوع:

أ- تفسير الرسول صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ القرآن بالقرآن، ومنه حديث عبد اللهِ بن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ قال: لما نزلت: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ﴾ [سورة الأنعام:٨٢] الآية، شقّ ذلك علىٰ المسلمين، فقالوا: يا رسول الله، أينا لم يظلم نفسه؟ قال: «**ليس ذلك، إنما هو الشرك، ألم تسمعوا ما قال لقمان لابنه وهو يعظه:** ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ١٣﴾ [سورة لقمان:١٣]» متفق عليه.

ب- وما أجمع عليه العلماء، أو كان قول صحابي، لا يعلم له مخالف.

أنواع التفسير بالقرآن:

ولتفسير القرآن بالقرآن أنواع، منها:

١- تخصيص العام.

- ومثال تخصيص العام قولُه تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ﴾ [سورة الأنعام:٨٢]، فالظلم في هذه الآية عام، وأنواعه كثيرة، فما الظلم المقصود في الآية؟ الجواب: خصصته الآية الأخرىٰ بالشرك، وهي قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ١٣﴾ [سورة لقمان:١٣].

٢- تقييد المطلق.

ومثال تقييد المطلق قولُه تعالىٰ: ﴿حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ وَٱلدَّمُ﴾ [سورة المائدة:٣]، فالدم مطلق؛ فأيُّ دمٍ محرّم، ولكنه قُـيّد بالآية الأخرىٰ، وهي قوله تعالىٰ: ﴿إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيۡتَةً أَوۡ دَمٗا مَّسۡفُوحًا﴾ [سورة الأنعام:١٤٥]، فبيّنتِ الآية أنّ المحرّم هو الدم المسفوح، وليس أيَّ دمٍ علىٰ الإطلاق.

٣- تبيين المجمل.

ومثال تبيين المجمل قولُه تعالىٰ: ﴿وَإِذۡ وَٰعَدۡنَا مُوسَىٰٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةً﴾ [سورة البقرة:٥١]، فهذا مجمل، وبيّنتِ هذا الإجمال الآية الأخرىٰ وهي قوله تعالىٰ: ﴿وَوَٰعَدۡنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيۡلَةٗ وَأَتۡمَمۡنَٰهَا بِعَشۡرٖ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةٗۚ﴾ [سورة الأعراف:١٤٢].

ومثله قوله تعالىٰ: ﴿وَأُحِلَّتۡ لَكُمُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡۖ﴾ [سورة الحج:٣٠]، وما يتلىٰ علينا فسرته الآية الأخرىٰ، وهي قوله تعالىٰ: ﴿حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحۡمُ ٱلۡخِنزِيرِ﴾ [سورة المائدة:٣] الآية.

٤- تفسير لفظة بلفظة.

ومثاله قول الله تعالىٰ: ﴿قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَآ أَلۡفَيۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ﴾ [سورة البقرة:١٧٠] ، فَسّرتْ كلمةَ (ألفينا) آيةُ: ﴿قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ﴾ [سورة لقمان:٢١].

٥- تفسير معنىٰ بمعنىٰ.

ومن أمثلته تفسيرُ قوله تعالىٰ: ﴿وَقَالُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ مَلَكٞۖ﴾ [سورة الأنعام:٨] الآية، بقوله تعالىٰ: ﴿لَوۡلَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مَلَكٞ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرٗا ٧﴾ [سورة الفرقان:٧].

٦- تفسير المفهوم من آية بآية أخرىٰ.

كتفسير المفهوم من قوله تعالىٰ: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ ١٥﴾ [سورة المطففين:١٥]، بقوله تعالىٰ: ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ٢٣﴾ [سورة القيامة:٢٢-٢٣].

وحكم هذه الأنواع من التفاسير:

أن ما كان منها تفسير للقرآن بالقرآن من الرسول صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، أو صحابي لم يُخالَف، أو وقع عليه إجماع، فهو من التفسير المأثور الذي يُقطع بصحته، وما كان عن اجتهاد فهو من التفسير بالرأي، فإن كان له وجه صحيح فهو رأي محمود، وإن لم يكن له وجه صحيح فهو رأي مذموم.

ومن المفسرين الذين اعتنوا كثيرًا بتفسير القرآن بالقرآن: عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، ومن التفاسير المعتنية بهذا النوع: تفسير ابن كثير، وأضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، للشنقيطي.





من طرق التفسير (٢): تفسير القرآن بالسنة

تفسير النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للقرآن حجة يجب الأخذ بها، يوضح هذا أمور:

١- أنّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مبلّغ عن الله تعالىٰ، فهو أعلم الناس بمراد الله تعالىٰ كلامه، وقد قال الله تعالىٰ: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [سورة النحل: ٤٤].

٢- أنّ السنة وحي، يجب الأخذ بها، قال تعالىٰ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [سورة الحشر: ٧].

٣- أنّ الخطأ والضلال إنما يقع من جهة عدم العلم، أو عدم الصدق، أو عدم تمام البيان، أو عدم تمام النصح، والرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أعلم بربه، وأصدق الناس حديثًا، وأحسنهم بيانًا، وأحرصهم علىٰ الدلالة علىٰ الخير، قال تعالىٰ: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [سورة التوبة: ١٢٨].

طرق تفسير القرآن بالسنة:

وتفسير القرآن بالسنة له طرق:

١- أن يفسر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ القرآن بالقرآن، وقد سبقت أمثلته.

٢- أن يفسر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ القرآن ابتداءً، وله قسمان:

أ- أن يذكر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التفسير، ثم يذكر الآية المفسرة كأن يقول: (اقرؤوا إن شئتم)، أو يقول: (وذلك قوله تعالىٰ)، أو يقول الصحابي عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ثم تلا كذا وكذا».

ومن أمثلته: حديث صهيب بن سنان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**فيكشف الحجاب، فما أعطوا شيئًا أحب إليهم من النظر إلىٰ ربهم عَزَّوَجَلَّ**»، ثم تلا هذه الآية: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [سورة يونس:٢٦].

وحديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إذا رقد أحدكم عن الصلاة، أو غفل عنها، فليصلّها إذا ذكرها، فإن الله يقول:** ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴿١٤﴾﴾ [سورة طه:١٤]» متفق عليه، واللفظ لمسلم.

ب- أن يذكر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الآية المفسرة، ثم يذكر التفسير.

ومن أمثلته حديثُ عقبة بن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو علىٰ المنبر يقول: «﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [سورة الأنفال:٦٠] **ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي**» أخرجه مسلم.

٣- أن يفسر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ القرآن لسبب، وهو علىٰ ثلاثة أقسام:

أ- أن يسأل الصحابي عن معنىٰ الآية، فيفسرها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ له.

ومن أمثلته: حديث عدي بن حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه سمع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقرأ: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [سورة التوبة:٣١] حتىٰ فرغ منها، فقلت: إنا لسنا نعبدهم، فقال: «**أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه، ويحلون ما حرم الله فتستحلونه؟**» قلت: بلىٰ، قال: «**فتلك عبادتهم**» أخرجه الطبراني والبيهقي.

ب- أن يسأل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصحابة عن الآية، ثم يفسرها لهم.

ومن أمثلته: حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قرأ: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴿٢﴾ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ﴿٣﴾﴾ [سورة الكوثر:١-٣]، ثم قال: أتدرون ما الكوثر؟ فقلنا: الله ورسوله أعلم، قال:

«فإنه نهر وعدنيه ربي عَزَّوَجَلَّ، عليه خير كثير، هو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة، آنيته عدد النجوم» أخرجه مسلم.

ج- أن يقع خلاف بين الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ في معنىٰ الآية، فيفسرها لهم النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

ومن أمثلته حديثُ أبي سعيد الخدري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: تمارىٰ رجلان في المسجد الذي أُسس علىٰ التقوىٰ من أول يوم، فقال رجل: هو مسجد قباء، وقال رجل: هو مسجد رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فقال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «هو مسجدي» أخرجه أحمد والنسائي والترمذي.

٤- أن يقرأ النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ الآية في موضع يتضمن تفسيرها:

مثاله قراءةُ النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قوله تعالىٰ: ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾﴾ [سورة القمر:٤٥] في يوم بدر، فعرف الصحابة تفسيرها، وأنها كانت في كفار قريش.

٥- أن يتأول النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ الآية، فيعمل بها:

مثاله حديثُ عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا قالت: ما صلّىٰ النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ صلاة بعد أن نزلت عليه: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴿١﴾﴾ [سورة النصر:١] إلا يقول فيها: «سبحانك ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي»، وفي رواية عند البخاري عن عائشة: أن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ كان يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده: «سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي، يتأول القرآن».

٦- أن يذكر النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ كلامًا يصلح أن يكون تفسيرًا للآية:

مثاله قولُ النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «إن اليهود مغضوب عليهم، وإن النصارىٰ ضلال» أخرجه الترمذي، فهو لم يذكر أن هذا هو تفسير لقوله تعالىٰ: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾﴾ [سورة الفاتحة:٧] ، لكنه يصلح أن يكون تفسيرًا له.

وقد يكون هذا النوع من التفسير واضحًا، وقد يكون خفيًّا، وهو من أقسام التفسير بالرأي، فقد يكون محمودًا أو مذمومًا.

حكم هذه الطرق:

هي من التفسير المأثور إلا النوع الأخير، فإنه من التفسير بالرأي.

أنواع التفسير بالسنة:

١- تفسير لفظة.

ومثاله أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قرأ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [سورة البقرة:١٤٣]، فقال: «**والوسط العدل**» أخرجه البخاري.

٢- تخصيص العام.

ومثال تخصيص العام: قوله تعالىٰ: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [سورة البقرة:١٨٠] الآية؛ ففي هذه الآية أن الوصية فرض للوالدين والأقربين؛ سواء كانوا ورثة أو غير ورثة، ثم بيّن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقوله: «**لا وصية لوارث**» تخصيصَ الوصية المشروعة بغير الوارثين.

٣- تقييد المطلق.

ومثال تقييد المطلق في تفسير القرآن بالسنة: قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا﴾ [سورة المائدة:٣٨] الآية؛ فظاهر الآية أنّ مَن سرق أيّ شيء قُطعت يده، فهو مطلق، قيّدته السنة، بقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**تقطع اليد في ربع دينار فصاعدًا**» متفق عليه.

٤- تبيين المجمل.

ومثال تبيين المجمل: أن قوله تعالىٰ: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [سورة البقرة:٤٣] مجملٌ في العدد والصفة، فبيّنت السنة عدد الركعات وصفتها وأوقاتها.

٥- تفسير المبهم.

ومن أمثلته: أن صاحب موسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في سورة الكهف أُبهم اسمه، وبينت السنة أنه الخضر.

٦- بيان القصص.

ومنه بيان السنة لقصة موسىٰ والخضر، وقصة أصحاب الأخدود.





من طرق التفسير (٣): تفسير القرآن بآثار الصحابة

معنى الصحابي، وحكم تفسيره:

الصحابي: هو من لقي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مؤمنًا به، ومات على ذلك.

وتفسير الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ حجة لما يأتي:

١- أنهم أعلم بمصادر التفسير من غيرهم، فهو أعلم بأسباب النزول؛ لأنهم شهدوها، وأعلم بالسنة؛ لصحبتهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأعلم باللغة؛ لأنه بلسانهم نزل القرآن الكريم، وأقدر على تفسير القرآن بالاجتهاد؛ لسلامة مقصدهم، وحسن فهمهم.

٢- ولأن الله تعالى أثنى عليهم، فقال: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [سورة التوبة:١٠٠] ، وكذلك أثنى عليهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال: «**اقتدوا بالذَين من بعدي أبي بكر وعمر**»، وقال: «**عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، عضوا عليها بالنواجذ**».

ومن أمثلة تفسيرهم:

١- في تفسير القرآن بالقرآن تفسيرُ ابن عباس لقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا۟ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا﴾ [سورة يوسف:١١٠]، فسّره بأن تلا قول الله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ﴾ [سورة البقرة:٢١٤].

٢- وفي تفسير القرآن بالسنة تفسيرُ ابن مسعود لقوله تعالى: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾﴾ [سورة النجم:١٨] ، قال: رأى رفرفًا أخضر سد الأفق، ومثل هذا لا يمكن

معرفته بعلم لغة ولا اجتهاد، ولا يمكن أن يقوله ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من ذات نفسه، فلا يكون إلا أن الذي رأىٰ الرفرف الأخضر هو الذي أخبره، وهو النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

٣- وفي تفسير القرآن باللغة قولُ ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: ما كنتُ أعلم معنىٰ قول الله تعالىٰ: ﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [سورة الأعراف:٨٩] ، حتىٰ سمعتُ ابنة ذي يزن تقول: تعال أفاتحك؛ تقصد أقاضيك.

٤- ومن تفسيرهم القرآن عن طريق الأخذ عن أهل الكتاب سؤالُ ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا لأبي الجلد، فسأله عن الرعد، فقال: الرعد: الريح.

٥- ومن تفسيرهم القرآن بالرأي والاجتهاد ما أخرجه البخاري عن عبيد بن عمير قال: قال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يومًا لأصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فيمَ ترون هذه الآية نزلت: ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ﴾ [سورة البقرة:٢٦٦] ؟ قالوا: الله أعلم، فغضب عمر، فقال: قولوا نعلم أو لا نعلم، فقال ابن عباس: في نفسي منها شيء يا أمير المؤمنين، قال عمر: يا ابن أخي، قل: ولا تحقر نفسك، قال ابن عباس: ضربت مثلًا لعمل، قال عمر: أيّ عمل؟ قال ابن عباس: لعمل، قال عمر: لرجلٍ غنيّ يعمل بطاعة الله عَزَّوَجَلَّ، ثم بعث الله له الشيطان، فعمل بالمعاصي حتىٰ أغرق أعماله.

٦- ومنها أن يُنقل عن صحابي آخر: ومنه سؤال ابن عباس لعمر بن الخطاب: قلت: «يا أمير المؤمنين، من اللتان تظاهرتا علىٰ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أزواجه؟ فقال: تلك حفصة وعائشة» متفق عليه.

٧- ومنها أن يفسّر القرآن بما يعرف من الحوادث والملابسات في وقت التنزيل، ومنه ما أخرجه البخاري عن ابن عباس في قوله تعالىٰ: ﴿اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾﴾ [سورة النجم:١٩]، قال ابن عباس: كان اللّات رجلًا يلتُّ سويق الحاج.

حكم تفسير الصحابي:

حكم تفسير الصحابي بحسب مصدره، وينقسم إلىٰ قسمين:

١- ما مصدره النقل، وهو ثلاثة أقسام:

أ- ما نقلوه من أسباب النزول، وهذا يحكم عليه بأنه حديث مرفوع.

ومن أمثلته ما رواه الحاكم عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كانت اليهود تقول: من أتىٰ امرأته من دُبرها في قُبُلها جاء الولد أحول، فأنزل الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ﴾ [سورة البقرة:٢٢٣]»، قال الحاكم: « هذا الحديث وأشباهه مسند عن آخرها، وليست بموقوفة؛ فإن الصحابي الذي شهد الوحي والتنزيل فأخبر عن آية من القرآن أنها نزلت في كذا وكذا فإنه حديث مسند ».

ب- ما نقلوه من الغيبيات التي لا تعرف بالاجتهاد، كالإخبار عن الأمور الماضية أو المستقبلة، أو ذكر ثواب أو عقاب مخصوصين، بشرط ألا يكون فيه شبهة الخبر الإسرائيلي، فهو حجة، وله حكم الرفع، كتفسير ابن عباس الكرسي بأنه موضع القدمين.

ج- ما نقلوه من لغة العرب: ويحتج به، لكونهم حجة في لسان العرب.

٢- ما كان مصدره الاجتهاد، وهو علىٰ ثلاثة أقسام:

أ- ما أجمعوا عليه، فهو حجة، وإن لم يكن له حكم الرفع، كتفسير قوله تعالىٰ: ﴿فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا ۝٥﴾ [سورة المرسلات:٥] ، قال ابن مسعود وابن عباس: هي الملائكة، ولم يعرف لهما مخالف من الصحابة.

ب- ما اختلفوا فيه، فينظر ما وافق الدليل، فيؤخذ به.

ج- ما قاله بعضهم، ولا يُعلم له مخالف، فالأقرب أنه يحتج به.





من طرق التفسير (٤): تفسير القرآن بآثار التابعين

معنى التابعي:

التابعي: هو من لقي الصحابي، والتابعون طبقات، فمنهم كبار التابعين، وهم من لقوا العدد الكثير من الصحابة، ومنهم صغار التابعين، وهم من لقوا الواحد والاثنين، ويلحق بهم أتباع التابعين، وهم من لقوا التابعين.

حكم تفسير التابعين:

وتفسير التابعين معتبر لأمرين:

١- أنهم أصح تفسيرًا من غيرهم، فهم لقوا الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وعرفوا تفاسيرهم، وعاشوا في زمن الاحتجاج اللغوي، فكانوا أقدر علىٰ تفسير القرآن باللغة من غيرهم، وهم أصح مقصدًا، وأسلم اعتقادًا، فكان اجتهادهم أقرب للصواب.

٢- أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أثنىٰ عليهم، فقال: «**خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم**» متفق عليه.

وقد أكثر التابعون من التفسير لأمرين:

١- دخول كثير من الأعاجم للإسلام، ممن يحتاجون أن تفسر لهم كل كلمة، بخلاف ما كان في عهد الصحابة، فأكثر من أسلم في عهدهم هم العرب.

٢- وجود نواة الخلاف الفقهي؛ مما أكثر الخلاف في تفسير آيات الأحكام.

حكم تفسير التابعين:

حكم تفسير التابعين علىٰ قسمين:

٣- ما كان مصدره النقل، وهو علىٰ ثلاثة أقسام:

أ- ما نقلوه من أسباب النزول، ويحكم عليه بأنه حديث مرفوع، لكنه مرسل.

ب- ما نقلوه من لغة العرب، ويحتج بهم، لكونهم حجة في لسان العرب.

ج- ما نقلوه من بني إسرائيل، وحكمه حكم الإسرائيليات.

د- ما كان مصدره الاجتهاد، وهو علىٰ ثلاثة أقسام:

١- ما أجمعوا عليه، وهو حجة؛ لكونه إجماعًا.

٢- ما اختلفوا فيه، فينظر ما وافق الدليل، فيؤخذ به.

٣- ما قاله بعضهم، ولا يُعلم له مخالف، فالأقرب أنه يستأنس به.

وهاهنا مسألتان:

المسألة الأولى: هل يجوز إحداث قول جديد، لم يقله السلف الصالح من الصحابة والتابعين وأتباعهم؟

والجواب فيه تفصيل:

١- إن كان هذا القول لا يخالف قول السلف، وتحتمله الآية، فهو مقبول؛ بدليل أن التابعين قد قالوا أقوالًا لم يقلها الصحابة من قبلهم، فدلّ ذلك علىٰ عدم المنع، كتفسير السلف للمضغة بأنها قطعة لحم بقدر ما يمضغ، فيُفسّر ذلك بما يوضحه مما أظهرته الاكتشافات المعاصرة من شكل المضغة.

٢- وإن كان هذا القول يخالف قول السلف، فهو مرود؛ لما فيه من نسبتهم للجهل بالحق، وخلو عصرهم من قائل به، ونبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**لا يزال طائفة من أمتي ظاهرين، حتىٰ يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون**» أخرجه البخاري ومسلم، كتفسير بعضهم لقوله تعالىٰ: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلْعُقَدِ ۝٤﴾ [سورة الفلق:٤] بالطائرات النفاثة التي تطير ستين وسبعين عقدة في الساعة!

وكذا تفسير قوله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ۝٤١﴾ [سورة العنكبوت:٤١]، بأن وهن بيت العنكبوت ليس بوهن خيوطه، بل

بوهن العلاقات الزوجية بين ذكره وأنثاه، حتىٰ إنّ أنثاه تقتل الذكر بعد بناء البيت، وهذا تفسير يخالف قول السلف الذين لم يفهموا هذا المعنىٰ.

المسألة الثانية: هل يشترط لقبول أسانيد التفسير أن تصحّ كأسانيد الحديث؟

في المسألة قولان:

القول الأول: لا بد من تطبيق قواعد المحدثين علىٰ أسانيد التفسير، فما صحّ قبلناه، وما لم يصحّ رددناه، وذلك لأن القول بتفسير الآية يترتب عليه أحكام شرعية، ولأجل تنقية التفسير من كثير من الأقوال المتعارضة، باستبعاد ما لم يصحّ.

القول الثاني: لا يشترط ذلك؛ لأن المفسرين قد درجوا في تفاسيرهم علىٰ قبول القول دون التنقيح في صحة إسناده، ولأنه قد يكون ضعيفًا في الحديث قويًّا في التفسير؛ كما كان عاصم بن أبي النَّجود ضعيفًا في الحديث، قويًّا في تخصصه بنقل القراءات، وابن إسحاق فيه ضعف في الحديث، وهو قويّ في تخصصه في نقل أخبار المغازي والسير، ولأنه كثيرًا ما يشهد له المعنىٰ اللغوي من كلام العرب، فيعتضد به.

والأقرب – والله أعلم – قبول التفسير ما لم يرد بأسانيد شديدة الضعف، أو يكون متنه منكرًا.

يقول ابن المبارك: « ليكن الذي تعتمد عليه هذا الأثر، وخذ من الرأي ما يفسر لك الحديث، وهذا هو الفهم الذي يختص الله به من يشاء من عباده » اهـ من (جامع بيان العلم وفضله) ص: ١٠٥٠

ومن التفاسير المعتنية بنقل تفاسير السلف بأسانيدها: تفسير عبد الرزاق، وابن المنذر، والطبري، والدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي.





من طرق التفسير (٥): تفسير القرآن باللغة

مفهوم تفسير القرآن باللغة:

التفسير باللغة: يشمل تفسير القرآن بما يتعلق به من علوم اللغة؛ من لغة وصرف ونحو ومعانٍ وبيان، ويشمل أمرين:

١- تفسير اللفظة، كتفسير مجاهد لقول الله تعالىٰ: ﴿نَسۡتَنسِخُ﴾ [سورة الجاثية:٢٩] ، قال: نكتب.

٢- تفسير أسلوب، كتفسير قول الله تعالىٰ: ﴿ذُقۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ ﴿٤٩﴾﴾ [سورة الدخان:٤٩] بأنه أسلوب تقريع وتهكم، كما تعرفه العرب من لغتها.

ويعرف هذا النوع من التفسير بالرجوع لتفسير السلف اللغوي، وممن يعتني بنقل ذلك الطبري وابن عطية وأبو حيان، وكذا بالرجوع للمعاجم اللغوية؛ خصوصًا التي لم تتأثر بالخلافات العقدية والفقهية، كمعجم العين للخليل بن أحمد (١٧٣هـ)، وجمهرة اللغة لابن دريد (٣٢١هـ)، وتهذيب اللغة للأزهري (٣٧٠هـ)، ومقاييس اللغة لابن فارس (٣٩٥هـ)، وكذا أيضًا بالرجوع لكتب غريب القرآن، ككتاب مجاز القرآن لأبي عبيدة (٢١٠هـ)، وغريب القرآن لابن قتيبة (٢٧٦هـ).

ولمعرفة معنى المفردة القرآنية:

نرجع أولًا لأصل الكلمة بالرجوع إلىٰ كتاب (مقاييس اللغة) مثلًا، ثم معرفة تطور الكلمة من خلال ذات السياق، من خلال الرجوع لكتاب (مفردات القرآن) للراغب، ثم معرفة معانيها في السياقات المختلفة من خلال الرجوع إلىٰ (الأشباه والنظائر) لابن الجوزي مثلًا، ثم تحديد المعنىٰ الشرعي.

ومن أمثلة ذلك أن ابن فارس في (مقاييس اللغة) ذكر أن أصل كلمة (لبس): خالط، ثم تطور المعنىٰ إلىٰ خالط، فستر، كما ذكر الراغب، ثم استعملتْ في القرآن الكريم علىٰ ثلاثة معانٍ، كما ذكر ابن الجوزي: بمعنىٰ الثياب في قوله تعالىٰ: ﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٢٣﴾﴾ [سورة الحج:٢٣]، وبمعنىٰ السكن في قوله تعالىٰ: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾﴾ [سورة النبأ:١٠]، وبمعنىٰ العمل الصالح في قوله تعالىٰ: ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ﴾ [سورة الأعراف:٢٦]، وأما المعنىٰ الشرعي فيدل عليه قوله الله تعالىٰ: ﴿لِبَاسًا يُوَارِي سَوْءَٰتِكُمْ﴾ [سورة الأعراف:٢٦]، فاللباس الشرعي: هو ما غطّىٰ السوأة.

حكم تفسير القرآن باللغة:

دلتْ علىٰ تفسير القرآن باللغة عدة أدلة، منها:

١- أن الله تعالىٰ أنزل القرآن بلغة العرب، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾﴾ [سورة يوسف:٢] ، فتعيّن الرجوع في فهمه إلىٰ لغتهم.

٢- أن النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قد أقرّ الصحابة علىٰ تفسير القرآن باللغة، وكان يصوّب فهمهم إذا أخطؤوا، كما في حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: لما نزلت: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ [سورة الأنعام:٨٢] ، قلنا: يا رسول الله، أينا لا يظلم نفسه؟ قال: ليس كما تقولون، ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ [سورة الأنعام:٨٢]: بشرك، أولم تسمعوا إلىٰ قول لقمان لابنه: ﴿يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾ [سورة لقمان:١٣] أخرجه البخاري.

٣- أن الصحابة والتابعين فسّروا القرآن كثيرًا بلغة العرب، وأنشدوا من أشعارهم ما يقوّي ما ذهبوا إليه، بل قال ابن عباس ترجمان القرآن رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا في وجوه التفسير: «وجه تعرفه العرب بلغتهم».

٤- نقل أهل العلم الإجماع علىٰ جواز تفسير القرآن باللغة، بل عابوا وذموا من فسَّر القرآن دون علم بلغة العرب، قال الإمام مالك: « لا أُوتىٰ برجل يفسر القرآن لا يعرف لغة العرب إلا جعلته نكالًا ».

ومن قواعد التفسير باللغة:

١- أن القرآن تحمل معانيه علىٰ المعنىٰ الأشهر في اللغة، لا الشاذ القليل، كتفسير قوله تعالىٰ: ﴿إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنۡهُمۡ تُقَىٰةٗۗ﴾ [سورة آل عمران:٢٨] ؛ أي مخافة، وقال قتادة: أي قرابة، وهو معنىٰ غير مشهور.

٢- أن القرآن يحمل علىٰ معهود الخطاب عند الآدميين، كتفسير الذرة في قوله تعالىٰ: ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ٧﴾ [سورة الزلزلة:٧] بأنها النملة الصغيرة، أو الهباءة التي تُرىٰ مع ضوء الشمس، وليس بأنها أصغر جزئي من المادة، لا يقبل الانقسام؛ لأنّ هذه العلوم لم تكن معهودة عند من نزل القرآن بلغتهم وبخطابهم.

٣- أن القرآن يفسر بلغة العرب بحسب دلالة سبب النزول، كقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٞ فِي ٱلۡكُفۡرِۖ﴾ [سورة التوبة:٣٧] ، بأنه التأخير، وهذا معناه من جهة اللغة، ولا يَعرف اللغويُّ أي تأخير هو، حتىٰ يعرف سبب النزول بأنه تأخير الأشهر الحرم عن وقتها.

٤- أن القرآن يفسر بلغة العرب بحسب دلالة السياق، كقوله تعالىٰ: ﴿لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ﴾ [سورة ص:٧٥] ، فلا تفسر بالقدرة؛ لأنها أضيفت، واليد تفسر بالقدرة إذا لم تضف، ولأنها دخلتْ عليها الباء، وهي تدخل علىٰ آلة الفعل، ولأن السياق يأبىٰ ذلك، فكل المخلوقات خُلقت بقدرة الله تعالىٰ، فأيّ خصيصة لآدم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ في ذلك؟ بل تفسر باليد الحقيقية اللائقة بالله تعالىٰ.

٥- أن الأصل تقديم المعنىٰ الحقيقي علىٰ المعنىٰ المجازي، ومنه اختلافهم في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [سورة البقرة:٢٤٨]، قيل: تحمله من السماء إليه، وقيل: تسوقه علىٰ البقر إليه، والأول هو المعنىٰ الحقيقي، فيُقدّم.

٦- أن الأصل تقديم الحقيقة الشرعية علىٰ الحقيقة اللغوية إلا لدليل، ومثال ذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا﴾ [سورة التوبة:٨٤]، يحمل علىٰ صلاة الجنازة؛ لأنها حقيقة شرعية، ويقدم ذلك علىٰ معنىٰ الدعاء؛ لأنه حقيقة لغوية.

ومثال ما دلّ الدليل علىٰ تقديم الحقيقة اللغوية علىٰ الشرعية تفسيرُ الصلاة في قوله تعالىٰ: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾ [سورة التوبة:١٠٣]، فقد صح أن نبينا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا جاءته صدقة قوم، قال: اللهم صلِّ عليهم.

وينتبه هنا أن الحقيقة الشرعية ليستْ هي الحقيقة الاصطلاحية التي اصطلح عليها العلماء، بل تلك حقيقة عرفية خاصة بهم، فلا يفسر قوله تعالىٰ: ﴿كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾﴾ [سورة الإسراء:٣٨] ؛ بأن المكروه ما لا يُؤثّم فاعله، بل يفسر بأنه المبغوض أشد البغض، كيف لا؟ وقد ذكر في سياقها الشرك والقتل والزنا وغيرها من كبائر المحرمات.

ومن التفاسير المعتنية بتفسير القرآن باللغة: المفردات للراغب، والمحرر الوجيز لابن عطية، والبحر المحيط لأبي حيان.





أنواع اختلاف المفسرين

اختلاف المفسرين على قسمين:

القسم الأول: اختلاف التنوع:

وهو اختلاف المفسرين علىٰ أقوال يمكن اجتماعها علىٰ معنىٰ واحد دون إخلال بالمقصود.

قال الشاطبي: « إذا اعتبرتها - أي الأقوال - وجدتها تتلاقىٰ علىٰ العبارة كالمعنىٰ الواحد، والأقوال إذا أمكن اجتماعها، والقول بجميعها من غير إخلال بمقصد القائل، فلا يصح نقل الخلاف فيها ».

وفي معنىٰ ذلك يقول أبو الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إنك لن تفقه كل الفقه حتىٰ ترىٰ للقرآن وجوهًا.

ولاختلاف التنوع صور:

١- ما يكون لفظ الآية متقاربًا، كتفسير قوله تعالىٰ: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ﴾ [سورة الإسراء:٢٣] ، قيل: أمر، وقيل: أوجب، وقيل: أوصىٰ.

٢- أو يكون اللفظ متكافئًا، كتفسير قوله: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي﴾ [سورة طه:١٢٤]، قيل: كلامي، وقيل: كتابي، وقيل: هداي.

٣- أو يكون اللفظ متلازمًا، كتفسير قوله تعالىٰ: ﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا ۝٩﴾ [سورة الطور:٩] ، قيل: تتحرك وتضطرب، وقيل: تتشقق.

٤- أو يكون اللفظ متواطئًا، كاختلاف المفسرين في معنىٰ (الخنّس)، قال عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: هي بقر الوحش، وقال علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: هي النجوم، قال سفيان

بن عيينة: وكلاهما واحد؛ لأن النجوم تخنس بالنهار، وتظهر بالليل، والوحشية إذا رأت إِنسيًّا خنست في الغيطان وغيرها، وإذا لم تر إِنسيًّا ظهرت.

٥- ومنه أن يذكر كل مفسر نوعًا من أنواع المعنىٰ العام، أو مثالًا له، كاختلافهم في الماعون، قال بعضهم: الزكاة، وقال بعضهم: عارية المتاع، وقال عكرمة: الماعون أعلاه الزكاة، وعارية المتاع منه.

٦- ومنه ما يمكن اجتماعه مع غيره من الأقوال، كأن يذكر كل مفسر وصفًا، ويمكن حمل الآية علىٰ الأوصاف جميعها، كقوله تعالىٰ: ﴿وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾﴾ [سورة النبأ:٣٤]، قال ابن عباس: دهاقًا: مملوءة، وقال مجاهد: متتابعة، وقال عكرمة: صافية، قال ابن عثيمين: ولا منافاة بين هذه الأقوال، والآية تحتملها فتحمل عليها جميعًا، ويكون كل قول لنوع من المعنىٰ.

٧- ومنه أن يُذكَر الوصف دون ذكر الموصوف، فيَذكر كلّ مفسر موصوفـًا له هذا الوصف، كتفسير قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرۡقٗا ﴿١﴾﴾ [سورة النازعات:١] ، قيل: الملائكة تنزع الأرواح، وقيل: النجوم تنزع من أفق إلىٰ أفق، وقيل: القسيّ تنزع بالسهام.

الإجماع في التفسير:

الإجماع في التفسير: هو أن يتفق جميع المفسرين علىٰ تفسير آية بمعنىٰ من المعاني.

ويعرف بإحدى طريقين:

الأول: أن ينقل أحد المحققين في التفسير كابن جرير أو ابن عطية أو غيرهما الإجماع، ثم نتأكد من عدم وجود المخالف.

ويتنبه لابن جرير، فإن له مصطلحًا خاصًا في الإجماع، فهو ممن ينقل الإجماع، ولا يبالي بخلاف الواحد والاثنين.

الثاني: أن نستقرئ استقراءً كاملًا التفاسير المنقولة، ثم لا نجد مخالفًا.

والإجماع في التفسير على نوعين:

١- أن يجمعوا علىٰ لفظ، وهو قليل، كاتفاقهم علىٰ أنّ معنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ [سورة البقرة:٥٣] ؛ أي التوراة.

٢- أن يجمعوا علىٰ معنىٰ، ولو كان بينهم اختلاف من باب اختلاف التنوع، وهو كثير، كتفسير قوله تعالىٰ: ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ﴾ [سورة الرعد:١٤]، قال علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «هي التوحيد»، وقال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «هي لا إله إلا الله»، والمعنىٰ واحد.

القسم الثاني: اختلاف التضاد:

وهو أن تختلف أقوال المفسرين؛ بحيث لا يمكن اجتماعها، وحمل الآية عليها، فنلجأ إلىٰ قواعد الترجيح.

ومن أمثلته:

١- اختلاف المفسرين في معنىٰ لفظ، كقوله تعالىٰ: ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ﴾ [سورة البقرة:٢٢٨] ، فقد ورد القرء في لغة العرب بمعنىٰ: الحيض، وروي عن عمر وعلي وابن مسعود وأبي موسىٰ وعبادة بن الصامت وأبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وبمعنىٰ: الطهر، وروي عن زيد بن ثابت وابن عمر وعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

ومن أدلة ترجيح قول من قال: إنه الحيض:

۞ دلالة القرآن في قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمْ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشْهُرٍ وَٱلَّٰٓـِٔي لَمْ يَحِضْنَ﴾ [سورة الطلاق:٤]، فجعل الأشهر مكان الحيضات.

۞ ودلالة السنة: كحديث: «**تَدَعُ الصلاة أيام أقرائها**»؛ أي: حيضها. أخرجه الأربعة إلا النسائي، فجعل محل الحيض الأقراء، وحديث سبايا أوطاس: «**لا توطأ حامل حتىٰ تضع، ولا غير ذات حمل حتىٰ تحيض حيضة**» أخرجه أبو داود، فجعل محل القرء الحيض.

۞ ودلالة سياق الآية: ﴿وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِيٓ أَرْحَامِهِنَّ﴾ [سورة البقرة:٢٢٨]، والذي في أرحامهن الحيض أو الحمل، ولم يقل أحدٌ الطهر، ولأنه يمكن استيفاء العدد ثلاث حيضات كاملات، بخلاف الأطهار، فيكون قرءينِ وجزءًا.

۞ ودلالة اللغة: فالطهر هو الأصل، والحيض مما يجيء لوقت، والقرء في اللغة: الوقت لمجيء الشيء المعتاد مجيئه.

۞ ودلالة العقل: فإن الطهر مقارن للحمل، والاستبراء لا يقع بما يقارنه، وإنما يقع بما ينافيه، وهو الحيض، ولأن العلامات والمواقيت أقل مما بينها، والحيض أقل من الطهر.

ومن أدلة ترجيح قول من قال: هو الطهر:

۞ دلالة القرآن: في قول الله تعالىٰ: ﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ [سورة الطلاق:١] ، والطلاق إنما يكون في الطهر؛ لأن الطلاق في الحيض منهي عنه، فتكون العدة بالطهر، وأجيب: بأن اللام للاستقبال؛ أي لاستقبال العدة مع بداية الحيض.

۞ ودلالة اللغة: فقوله: ﴿ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ﴾ [سورة البقرة:٢٢٨] أُنّثَ فيه لفظ ثلاثة، فدل علىٰ أن المعدود مذكر، وهو الطهر، وأجيب: أنه غير مطرد.

٢- الخلاف في مرجع الضمير في قوله تعالىٰ: ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَٰذَا﴾ [سورة الحج:٧٨] ، هل الذي سمّانا المسلمين هو الله عَزَّوَجَلَّ، أو إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ؟

ومن أدلة ترجيح قول من قال: هو الله تعالىٰ:

۞ قاعدة اتحاد الضمائر في قوله تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ﴾ [سورة الحج:٧٨]، وقوله: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ﴾ [سورة الحج:٧٨]، فالضمائر فيها تعود إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ.

۞ وقاعدة السياق، فقوله تعالىٰ: ﴿وَفِي هَٰذَا﴾ [سورة الحج:٧٨] ؛ أي في القرآن، وإنما نزل القرآن بعد إبراهيم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ.

ومن أدلة ترجيح قول من قال: هو إبراهيم.

۞ قاعدة عود الضمير إلىٰ أقرب مذكور.

۞ وقاعدة الحمل علىٰ عادات القرآن ونظائر الآية، وقد قال تعالىٰ: ﴿رَبَّنَا وَٱجۡعَلۡنَا مُسۡلِمَيۡنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةٗ مُّسۡلِمَةٗ لَّكَ﴾ [سورة البقرة:١٢٨].

٣- والخلاف في قوله تعالىٰ: ﴿وَأَتِمُّواْ ٱلۡحَجَّ وَٱلۡعُمۡرَةَ لِلَّهِۚ﴾ [سورة البقرة:١٩٦]، قيل: أمر بإكمال أفعالهما بعد الشروع فيهما، وهو قول ابن عباس، واختاره ابن جرير وابن تيمية وابن كثير، وقيل: فُرض عليكم ابتداؤهما وإتمامهما، وهو قول مجاهد، واختاره البغوي والرازي وأبو حيان.

ومن أدلة ترجيح القول الأول:

- دلالة سبب النزول: أن فرض الحج نزل سنة تسع أو عشر، وهذه الآية نزلت سنة ستٍّ فيمن شرع في النسك، ومُنع من إتمامه.

- ودلالة السياق؛ لقوله بعده: ﴿فَإِنۡ أُحۡصِرۡتُمۡ﴾ [سورة البقرة:١٩٦] أي: منعتم من إتمامهما.

- **ودلالة السُّنة:** فيما أخرجه الطبراني عن يعلىٰ بن أمية قال: «جاء رجلٌ إلىٰ رسول صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، وقال: كيف تأمرني في عمرتي؟ فأنزل الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَأَتِمُّواْ ٱلۡحَجَّ وَٱلۡعُمۡرَةَ لِلَّهِۚ﴾ [سورة البقرة:١٩٦]، فأمره بإتمامها» صحّحه الوادعي.

ومن أدلة ترجيح القول الثاني:

۞ دلالة نظائر الآية، كقوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيۡلِۚ﴾ [سورة البقرة:١٨٧]؛ أي: ابتدِؤوه وأتموه.

۞ ودلالة القراءات: فيقوىٰ بقراءة: ﴿وأقيموا الحج والعمرة لله﴾ .

۞ دلالة أن الأصل عدم الحذف: فعلىٰ هذا القول لا يلزم إضمار، بخلاف القول الأول، فإنه يحتاج إلىٰ إضمار، تقديره: وأتموا الحج والعمرة إذا شرعتم فيهما.



دفع التعارض عن آي القرآن الكريم

معنى التعارض:

التعارض: هو أن تتقابل آيتان؛ بحيث يمنع مدلول آية مدلول آية أخرىٰ.

وتوهم التعارض بين آيات القرآن على قسمين:

الأول: أن يتعارض حكمان شرعيان:

أ- فنلجأ أولًا لمحاولة الجمع بينهما، كالجمع بين قول الله تعالىٰ: ﴿فَمَهِّلِ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَمۡهِلۡهُمۡ رُوَيۡدَۢا ١٧﴾ [سورة الطارق:١٧]، وقوله: ﴿فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ﴾ [سورة التوبة:٥]، بحمل آيات الإمهال علىٰ حال الضعف، وآيات السيف علىٰ حال القوة.

فإذا لم يمكن الجمع لجأنا للنسخ، قال تعالىٰ: ﴿مَا نَنسَخۡ مِنۡ ءَايَةٍ أَوۡ نُنسِهَا نَأۡتِ بِخَيۡرٖ مِّنۡهَآ أَوۡ مِثۡلِهَآۗ﴾ [سورة البقرة:١٠٦] ، وذلك بعد معرفة المتقدم والمتأخر، فينسخ المتأخرُ الحكمَ المتقدم، ويعرف المتقدم والمتأخر بأحد أمرين:

١- بنص من الشارع، كآيتي المصابرة، قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَى ٱلۡقِتَالِۚ إِن يَكُن مِّنكُمۡ عِشۡرُونَ صَٰبِرُونَ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٞ يَغۡلِبُوٓاْ أَلۡفٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ ٦٥ ٱلۡـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمۡ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمۡ ضَعۡفٗاۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٞ صَابِرَةٞ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمۡ أَلۡفٞ يَغۡلِبُوٓاْ أَلۡفَيۡنِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ٦٦ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسۡرَىٰ حَتَّىٰ يُثۡخِنَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنۡيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٦٧﴾ [سورة الأنفال:٦٥-٦٧].

٢- بمعرفة التاريخ، فآية عدة المتوفى عنها زوجها في قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِى مَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٤٠﴾﴾ [سورة البقرة:٢٤٠] متقدمة، فتكون منسوخة بآية عدة المتوفى عنها زوجها في قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٣٤﴾﴾ [سورة البقرة:٢٣٤].

ومن المؤلفات في هذا: (الناسخ والمنسوخ) لقتادة بن دعامة السدوسي (١١٧هـ)، و(الناسخ والمنسوخ) للزهري (١٢٤هـ)، و(الناسخ والمنسوخ في القرآن العزيز) لأبي عُبيد القاسم بن سلّام (٢٢٤هـ).

ب- أن يتعارض خبران شرعيان، وهذا يستحيل في حقيقة الأمر، قال تعالىٰ: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [سورة النساء:٨٢]، وقال تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾﴾ [سورة البقرة:٢].

مسالك دفع التعارض:

فإذا توهّم التعارض بين خبرين رجع إلىٰ أهل العلم لكشف هذا الوهم عنه، ومن مسالك دفع التعارض:

أ- أن نلجأ أولًا لمحاولة الجمع، ودفع وجود التعارض أصلًا.

كحمل قول الله تعالىٰ: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾﴾ [سورة الانشقاق:١٠]، مع قوله: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ﴾ [سورة الحاقة:٢٥] علىٰ أنه يستلم كتابه بشماله من وراء ظهره.

وحمل قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡمَوۡعُودِ ۝٢﴾ [سورة البروج:٢]، وفيه القسم بيوم القيامة، مع قوله تعالىٰ: ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ۝١﴾ [سورة القيامة:١] علىٰ أنها إثبات للقسم بيوم القيامة، و(لا) حرف تنبيه وتأكيد، لا حرف نفي، أو أنها نفيٌ لكلام الكفار وإنكارهم للبعث، ثم قسمٌ علىٰ ثبوت ذلك.

ب- اللجوء إلىٰ طريقة من طرق دفع التعارض، ومنها:

١- حمل كل لفظة علىٰ معنىٰ مختلف عن الأخرىٰ:

كحمل قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ۝٥٦﴾ [سورة القصص:٥٦] علىٰ نفي هداية التوفيق عن نبينا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ وقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ۝٥٢﴾ [سورة الشورى:٥٢] علىٰ إثبات هداية التبيين والإرشاد له.

وكذا قول الله تعالىٰ: ﴿فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [سورة التوبة:٦] علىٰ مَن تكلم بالقرآن ابتداءً، وقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ۝٤٠﴾ [سورة الحاقة:٤٠] علىٰ من قاله مبلّغًا.

٢- حمل كلّ لفظة علىٰ متعلق يختلف عن متعلق الآية الأخرىٰ.

كحمل قوله تعالىٰ: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ۝١٠١﴾ [سورة المؤمنون:١٠١] علىٰ نفي الأنساب التي تنفع وتتناصر، وقوله تعالىٰ: ﴿يَوۡمَ يَفِرُّ ٱلۡمَرۡءُ مِنۡ أَخِيهِ ۝٣٤ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ۝٣٥ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ۝٣٦﴾ [سورة عبس:٣٤-٣٦] علىٰ إثبات أصل الأنساب.

وحمل قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ [سورة البقرة:١٧٤] علىٰ نفي كلام الرضا، وقوله تعالىٰ: ﴿قَالَ ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ۝١٠٨﴾ [سورة المؤمنون:١٠٨]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَيَوۡمَ يُنَادِيهِمۡ فَيَقُولُ أَيۡنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمۡ تَزۡعُمُونَ ۝٦٢﴾ [سورة القصص:٦٢] علىٰ إثبات كلام السخط.

٣- حمل كل لفظة علىٰ زمان أو مكان يختلف عن اللفظة الأخرىٰ.

كحمل قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾﴾ [سورة الحاقة:٣٦]، وقوله: ﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ﴿٦﴾﴾ [سورة الغاشية:٦] علىٰ طبقات مختلفة في النار.

ومن المؤلفات في ذلك: تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة الدينوري (٢٧٦هـ)، ودفع إيهام الاضطراب عن آي الكتاب للشنقيطي (١٣٩٣هـ).



دفع الترادف بين ألفاظ القرآن

هل يوجد ترادف بين ألفاظ القرآن الكريم؟

اختلف أهل العلم في مسألة: وجود الترادف في اللغة أو في ألفاظ القرآن الكريم علىٰ أقوال:

۞ فمنهم من قال: إن الترادف واقع في ألفاظ اللغة، وعُزي للأكثر، ولم يقع في ألفاظ القرآن.

۞ ومنهم من أنكر وقوع الترادف في اللغة، ومن أقدمهم: أبو العباس ثعلب، وأبو الحسين بن فارس.

۞ ومنهم من قال: إن الترادف واقع في اللغة والقرآن في المعاني الأصلية، أما المعاني التكميلية فلا ترادف فيها.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « الترادف في اللغة قليل، وأما في ألفاظ القرآن؛ فإما نادر، وإما معدوم، وقَلَّ أن يعبر عن لفظ واحد بلفظ واحد يؤدي جميع معناه، بل يكون فيه تقريب لمعناه، وهذا من أسباب إعجاز القرآن ».

والقاعدة: أنه متىٰ أمكن حمل ألفاظ القرآن علىٰ معانٍ غير مترادفة تعيّن ذلك.

ولأبي هلال العسكري كتاب (الفروق)، يثبت وجود الفرق بين الألفاظ المتقاربة في المعنىٰ.

مسالك دفع الترادف:

ومن مسالك دفع الترادف عن ألفاظ القرآن الكريم:

١- الرجوع إلىٰ الأصل اللغوي للكلمة:

ومن ذلك أن معنىٰ الشك والريب: التردد، لكن أصل كلمة الريب من قولهم: لبن رائب؛ أي مخلوط بغيره، فكان معنىٰ الريب يدل علىٰ تردد مع تهمة.

ومن ذلك: أن معنىٰ العفو قريب من معنىٰ المغفرة، لكن كلمة (العفو) مأخوذة من قولهم: عفتِ الريح الأثر؛ أي محته، والمغفرة من المغفر، وهو لباس الرأس الساتر له من الضربات، فكان معنىٰ العفو هو محو الشيء، وإزالته، والمغفرة ستر الشيء مع بقائه.

٢- الرجوع إلىٰ اشتقاق الكلمة:

ومن ذلك لفظا (السياسية والتدبير)؛ فالسياسة اشتقت من السوس، وهو للأشياء الصغيرة الدقيقة التي يصعب معرفتها، فالسياسة هي معرفة الأشياء الدقيقة والأمور الخفية، وأما التدبير: فهو مشتق من الدبر، وهو نهاية الشيء، فالتدبير هو معرفة عواقب الأمر.

٣- الرجوع إلىٰ ما تتعدىٰ به الكلمة:

فالصلاة علىٰ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فُسّرت بالرحمة، والرحمة تتعدىٰ بنفسه، فيقال: رَحِمَه، وفُسّرت بالدعاء، والدعاء يتعدىٰ باللام، فيقال: دعوت له، والصلاة تتعدىٰ بـ(علىٰ)، فيصلي عليه أشبه بـ(يبرك عليه)، كما قال ابن عباس، أو يثني عليه، كما قال أبو العالية، أو يتحنن عليه، كما قال ابن القيم.

والإيمان إذا تعدىٰ بنفسه نحو: آمنه، فمعناه: صدّقه، وإذا تعدىٰ بالباء نحو: آمن به، فمعناه: صدّق حتىٰ اطمأنّ به، وإذا تعدىٰ باللام نحو: آمنَ له، فمعناه: صدّق حتىٰ انقاد له.

ومتىٰ تعدّتِ الكلمة بغير حرف تعديتها كان لأهل العلم إحدىٰ طريقتين:

الأولىٰ: طريقة الكوفيين بجعل حروف الجر تتناوب؛ لأنه كثير في لغة العرب.

والثانية: طريقة البصريين بتضمين الفعل معنىٰ مناسبًا للحرف الذي تعدىٰ به، وهو أبلغ، ومعاني القرآن تحمل علىٰ أكمل المعاني وأبلغها.

كالخلاف في تأويل قول الله تعالىٰ: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتۡلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلۡكِ سُلَيۡمَٰنَ﴾ [سورة البقرة:١٠٢]، والتلاوة لا تتعدّىٰ بحرف الجر (علىٰ)، فقيل: (علىٰ) بمعنىٰ (في)؛ أي تتلو في عهد سليمان، واختاره ابن جرير، أو يقال: (تتلو) تضمَّن معنىٰ (تكذب)؛ أي تتلو فتكذب علىٰ ملك سليمان، وأنه أدار ملكه بالسحر، واختاره ابن كثير.

٤- الرجوع إلىٰ نقيض الكلمة:

كلفظي (الحمد والشكر)، فالحمد ضده الذم، والذم يكون باللسان والقلب فقط، فكذلك الحمد، والشكر ضده الكفر، والكفر يكون بالقلب واللسان والجوارح، فكذلك الشكر.





إعجاز القرآن

معنى الإعجاز:

الإعجاز لغةً: هو إظهار العجز؛ أي عدم القدرة.

واصطلاحًا: هو أمر خارق للعادة، مقرون بالتحدي، سالم من المعارضة.

وإعجاز القرآن: إظهار صدق النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بما جاء به من القرآن؛ لعجز الإنس والجن عن معارضته والإتيان بمثله.

أنواع الإعجاز:

الإعجاز أنواع:

أ- **الإعجاز اللغوي:** كعجز العرب لما تحداهم الله تعالىٰ بالإتيان بمثل ألفاظه ومعانيه وأساليبه.

وقد تحداهم الله تعالىٰ بذلك علىٰ ثلاثة مستويات:

١- الإتيان بمثله، قال تعالىٰ: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾ [سورة الإسراء: ٨٨].

٢- الإتيان بعشر سور مثله، قال تعالىٰ: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٤﴾﴾ [سورة هود: ١٣-١٤].

٣- الإتيان بسورة واحدة مثله، قال تعالىٰ: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾﴾ [سورة يونس:٣٨] ، وقال: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [سورة البقرة:٢٣].

ب- **الإعجاز العلمي:** بإظهار صدق ما دلت عليه معارفه وعلومه في شتىٰ مجالات الخلق، قال تعالىٰ: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾﴾ [سورة فصلت:٥٣].

ويشترط لصحة القول بكون الآية القرآنية تدل علىٰ إعجاز علمي شروط:

أولًا: أنْ يدلّ كلام السلف في تفسير الآية علىٰ المعنىٰ الإجمالي الذي فصّله هذا الاكتشاف العلمي المعاصر.

ثانيًا: أنْ يدلّ هذا الاكتشاف علىٰ حقائق علمية ثابتة، لا تقبل التغيير.

ثالثًا: ألّا يكثر منه؛ حتىٰ لا يخرج القرآن الكريم عن كونه مصدر هداية وموعظة إلىٰ كتاب علوم.

ت- الإعجاز التشريعي: المتمثل في هداية الإنسان إلىٰ حفظ ضروراته الخمس، وإلىٰ جلب مصالحه في شتىٰ شئون حياته، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [سورة الإسراء:٩].





أقسام القرآن

من المواضيع القرآنية: موضوع أقسام القرآن.

معنى القسم:

القسم لغةً: اليمين.

واصطلاحًا: هو تأكيد الكلام بذكر مُعظَّم.

وهو قسمان: قسَم صريح: وهو تأكيد الكلام بذكر مُعظَّمٍ بأحد حروف القسم الثلاثة، وهي الواو والباء والتاء، كقوله: أقسم بالله لأفعلنّ، ولا يحل القسم صريحًا إلا بالله عَزَّوَجَلَّ، وبصفاته سبحانه.

وقسَم غير صريح: هو تأكيد الكلام بذكر مُعظَّمٍ بغير حروف القسم، كقوله: عليّ الطلاق لأفعلنّ.

فوائد القسم:

۞ **وللقسم فائدتان:**

١- إظهار عظمة الْمُقسَم به.

٢- إظهار أهمية ما يتحدث عنه.

فلا يكون القسم إلا في مقابل مخاطَب منكِر، أو متردد، أو لتقرير كلامٍ مهم.

أركان القسم:

۞ **وأركان القسم أربعة:**

فعل القَسَم - وحرف القَسَم – والمـُـقْسَم به- والمقسَم عليه (جواب القسم).

ومثال ما اجتمعتْ أركانه قول الله تعالىٰ: ﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا﴾ [سورة الأنعام:١٠٩].

وقد يكون المقسم عليه:

أ- جملة خبرية، وهذا غالبًا، كقوله تعالىٰ: ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ﴾ [سورة الذاريات:٢٣].

ب- أو جملة طلبية، كقوله تعالىٰ: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾﴾ [سورة الحجر:٩٢].

وقد يحذف فعل القسم؛ للاكتفاء عنه بحرف القسم، كقوله تعالىٰ: ﴿تَٱللَّهِ لَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [سورة النحل:٥٦].

وقد يحذف حرف القسم والمقسم به، كقولك: أحلف عليك لتجتهدن.

وقد يحذف فعل القسم، وحرفه، والمقسَم به، وتدل عليهما اللام الموطئة للقسم، كقوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾﴾ [سورة التكاثر:٨]، وتقديره: والله لتسألنّ.

وقد يحذف المقسَم عليه؛ للعلم به، كقوله تعالىٰ: ﴿صٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ﴿١﴾﴾ [سورة ص:١] ، وتقديره: والقرآن ذي الذكر ما الأمرُ كما يزعمون، ونحو هذا من التقدير، ذكره ابن جرير وابن عطية.

قواعد في القسم:

١- **القاعدة الأولىٰ**: لا يجوز القسم إلا بمعظم.

والله تعالىٰ يُقْسِم بنفسه المتصفة بالصفات العظيمة، أو بآياته الشرعية أو الكونية.

وقد أقسم الله تعالىٰ بنفسه في القرآن في سبعة مواضع، قال تعالىٰ: ﴿قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ﴾ [سورة التغابن:٧].

وأقسم بمخلوقاته وآياته، فأقسم أحد عشر قسمًا في سورة الشمس، فقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا ۝١ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ۝٢ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ۝٣ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰهَا ۝٤ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ۝٥ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا طَحَىٰهَا ۝٦ وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ۝٨ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠﴾ [سورة الشمس:١-١٠].

٢- **القاعدة الثانية**: أنه لا يجوز تقدير القسم إلا بقرينة ظاهرة.

ولذلك اختلفوا في قوله تعالىٰ: ﴿وَإِن مِّنكُمۡ إِلَّا وَارِدُهَاۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتۡمٗا مَّقۡضِيّٗا ۝٧١﴾ [سورة مريم:٧١] ، هل الواو للقسم؟

فقيل: لا؛ لعدم القرينة، فالواو للاستئناف، وقيل: للقسم، وهو قول ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ، وعكرمة، ومجاهد، وقتادة، ودلت علىٰ ذلك ثلاث قرائن:

الأولىٰ: قوله بعدها: ﴿كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتۡمٗا مَّقۡضِيّٗا ۝٧١﴾ [سورة مريم:٧١]؛ أي قسمًا واجبًا.

والثانية: حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ عن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ قال: «**لا يموت لمسلم ثلاثة من الولد، فيلج النار، إلا تحلة القسم**» متفق عليه، قال البخاري: ﴿وَإِن مِّنكُمۡ إِلَّا وَارِدُهَاۚ﴾ [سورة مريم:٧١] ، وأجيب: لعله أراد شيئًا يسيرًا بقدر ما يحلّ قسم المقسم، وإن لم يكن ثمة قسم.

والثالثة: أن الواو في سياق معطوفات علىٰ القسَم الأول في قوله تعالىٰ: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحۡشُرَنَّهُمۡ وَٱلشَّيَٰطِينَ﴾ [سورة مريم:٦٨] ، ثم عطف قسمًا بعد قسم، فقال: ﴿ثُمَّ لَنُحۡضِرَنَّهُمۡ﴾ [سورة مريم:٦٨] ، ﴿ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ﴾ [سورة مريم:٦٩] ، ﴿ثُمَّ لَنَحۡنُ أَعۡلَمُ﴾ [سورة مريم:٧٠]، وهو عطف للقسم؛ بدلالة وجود اللام الموطئة للقسم، ثم عطف ﴿وَإِن مِّنكُمۡ إِلَّا وَارِدُهَاۚ﴾ [سورة مريم:٧١].



قصص القرآن الكريم

معنى القصص:

القصص والقصّ لغةً: تتبع الأثر.

واصطلاحًا: إخبار عن أحداث مَن سبق بطريقة تتبعها النفس؛ للتشوق لمعرفتها.

وقصص القرآن أحسن القصص، قال تعالىٰ: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ﴾ [سورة يوسف:٣] ، وذلك لاشتمالها علىٰ أعلىٰ درجات الكمال في البلاغة وجلال المعنىٰ، ولتمام مطابقتها علىٰ حاجة الواقع، ولقوة تأثيرها في إصلاح القلوب والأعمال والأخلاق.

أنواع القصص القرآني:

۞ **والقصص ثلاثة أنواع:**

١- قصص عن الأنبياء والمرسلين، كقصة صالح وقومه.

٢- قصص عن أقوام غابرين، كقصة أهل الكهف، وذي القرنين.

٣- قصص عما جرىٰ في عهد النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كقصة غزوة الأحزاب، وأبي لهب، وقصة توبة الثلاثة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك.

فوائد ذكر القصص في القرآن الكريم:

۞ **ومن فوائد القصص:**

١- بيان حكمة الله وعدلِه وفضلِه، قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ۝٤ حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌ ۖ فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ ۝٥﴾ [سورة القمر:٤-٥].

وقال: ﴿ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيۡكَ مِنۡهَا قَآئِمٞ وَحَصِيدٞ ١٠٠ وَمَا ظَلَمۡنَٰهُمۡ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَمَآ أَغۡنَتۡ عَنۡهُمۡ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِي يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ لَّمَّا جَآءَ أَمۡرُ رَبِّكَۖ وَمَا زَادُوهُمۡ غَيۡرَ تَتۡبِيبٖ ١٠١﴾ [سورة هود: ١٠٠-١٠١].

وقال: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٖۖ نَّجَّيۡنَٰهُم بِسَحَرٖ ٣٤ نِّعۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَاۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي مَن شَكَرَ ٣٥﴾ [سورة القمر: ٣٤-٣٥].

٢- تسلية النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وتثبيت المؤمنين، وتحذير الكافرين، قال تعالىٰ: ﴿وَكُلّٗا نَّقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَۚ وَجَآءَكَ فِي هَٰذِهِ ٱلۡحَقُّ وَمَوۡعِظَةٞ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ١٢٠ وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ إِنَّا عَٰمِلُونَ ١٢١﴾ [سورة هود: ١٢٠-١٢١].

٣- إثبات صدق النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ بإخباره عن أمور غيبية كما وقعت، قال تعالىٰ: ﴿تِلۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهَآ إِلَيۡكَۖ مَا كُنتَ تَعۡلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوۡمُكَ مِن قَبۡلِ هَٰذَاۛ فَٱصۡبِرۡۖ إِنَّ ٱلۡعَٰقِبَةَ لِلۡمُتَّقِينَ ٤٩﴾ [سورة هود: ٤٩].

الحكمة من تكرر القصة القرآنية:

۞ **والحكمة من تكرار القصص في القرآن:**

١- بيان أهمية القصة، وتقرير فوائدها.

٢- إظهار بلاغة القرآن؛ حيث تأتي تفاصيل القصة بحسب الحاجة ومقتضىٰ الحال في الزمان وأحوال المخاطبين.

٣- بيان صدق النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ إذ لا تختلف أخبار القصص ولا تتناقض، مهما تكررت.

قواعد في القصص القرآني:

١- **القاعدة الأولىٰ:** طريقة القرآن أن يُجْمِل القصص، ثم يبسطها.

قال تعالىٰ: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ١﴾ [سورة هود:١]، ومن أمثلة ذلك قوله تعالىٰ: ﴿۞ لَّقَدۡ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخۡوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٞ لِّلسَّآئِلِينَ ٧ إِذۡ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ٨﴾ [سورة يوسف:٧-٨] ، الآيات.

٢- **القاعدة الثانية**: ما جاء في القرآن مما حكاه الله عن غير أهل العربية، إنما هو علىٰ جهة المعاني، لا علىٰ جهة حقيقة الألفاظ.





الضمائر في القرآن

معنى الضمير:

الضمير لغةً: مشتق من الضمور، وهو الهزال؛ لقلة حروفه، وقيل: من الإضمار، وهو الإخفاء؛ لكثرة استتاره: وجوبًا وجوازًا.

واصطلاحًا: ما كُنّي به عن الظاهر اختصارًا، ودلّ علىٰ حضورٍ من تكلم أو خطاب، أو غيبة.

ومن أمثلة ضمير المتكلم المستتر وجوبًا قوله تعالىٰ: ﴿وَأُفَوِّضُ أَمۡرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ﴾ [سورة غافر:٤٤].

ومن أمثلة ضمير المخاطب المتصل قوله تعالىٰ: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾ [سورة الفاتحة:٧].

وضميرا التكلم والخطاب لا يحتاجان إلىٰ عائد؛ اكتفاءً بدلالاله الحضور عنه.

ومن أمثلة ضمير الغائب المنفصل قوله تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعًا﴾ [سورة البقرة:٢٩]، ولا بد لضمير الغائب من عائد يعود إليه، والأصل أن العائد:

١- مذكور.

٢- مطابق له لفظًا ومعنىٰ.

٣- وسابق علىٰ الضمير لفظًا ورتبة.

ومثاله: قوله تعالىٰ: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٞ رَّبَّهُۥ﴾ [سورة هود:٤٥] ، فالضمير يعود إلىٰ نوح، وهو مذكور، ومطابق له لفظًا؛ لأنه مثله مفرد مذكر، ومعنىٰ؛ لأن المعنىٰ: ونادىٰ نوح ربَّ نوح، وسابق له في اللفظ، وفي الرتبة؛ لأنه فاعل، والضمير متعلق بالمفعول.

وقد يكون العائد غير مذكور، لكنه مفهوم من مادة الفعل السابق، كقوله تعالىٰ: ﴿ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ﴾ [سورة المائدة:٨]، أو مفهوم من السياق، كقوله تعالىٰ: ﴿وَلِأَبَوَيۡهِ لِكُلِّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٞۚ﴾ [سورة النساء:١١] ، فالضمير يعود علىٰ الميت المفهوم من قوله: ﴿ مِمَّا تَرَكَ ﴾، أو لم يذكر للعلم به، كقوله تعالىٰ: ﴿كُلُّ مَنۡ عَلَيۡهَا فَانٖ ۝٢٦﴾ [سورة الرحمن:٢٦]؛ أي الأرض، وقوله: ﴿فَلَوۡلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلۡحُلۡقُومَ ۝٨٣﴾ [سورة الواقعة:٨٣] ؛ أي الروح.

۞ وقد لا يطابقه لفظًا، كقوله تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرۡضُوهُ﴾ [سورة التوبة:٦٢]؛ أي يرضوهما، وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا﴾ [سورة التوبة:٣٤]؛ أي لا ينفقونهما، وقوله: ﴿يَخۡرُجُ مِنۡهُمَا ٱللُّؤۡلُؤُ وَٱلۡمَرۡجَانُ ۝٢٢﴾ [سورة الرحمن:٢٢] ؛ أي من أحدهما، وذلك كله للعلم به.

۞ وقد لا يطابقه معنىٰ، كقوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن طِينٖ ۝١٢ ثُمَّ جَعَلۡنَٰهُ نُطۡفَةٗ فِي قَرَارٖ مَّكِينٖ ۝١٣﴾ [سورة المؤمنون:١٢-١٣]، فالضمير يرجع للإنسان، ومعنىٰ الإنسان الأول آدم، ومرجع الضمير إلىٰ ابنه؛ لتعلقه به.

۞ وقد يتأخر عنه لفظًا لا رتبة، كقولك: حمل كتابَه الطالبُ، فالضمير يعود للطالب، وهو متقدم رتبة؛ لأنه فاعل.

۞ وقد يتأخر رتبة لا لفظًا؛ كقوله تعالىٰ: ﴿وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ﴾ [سورة البقرة:١٢٤] ، فالضمير يعود لإبراهيم، وهو متقدم لفظًا، متأخر رتبة؛ لكونه مفعولًا به.

وفائدة الضمير:

اختصار الكلام، فالضمير في قوله تعالىٰ: ﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا ۝٣٥﴾ [سورة الأحزاب:٣٥] ناب عن عشرين كلمة مذكورة قبله.

وقد يأتي الظاهر مكان الضمير، وهو ما يسمىٰ (الإظهار في موضع الإضمار)، لفوائد، منها:

١- الحكم علىٰ مرجعه بما يقتضيه الاسم الظاهر.

٢- بيان علة الحكم.

٣- عموم الحكم لكل متصف بما يقتضيه الاسم الظاهر.

ومثاله: قوله تعالىٰ: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾﴾ [سورة البقرة:٩٨] ولم يقل: فإن الله عدو له، فأفاد هذا الإظهار:

١- الحكم بالكفر علىٰ من كان عدوًّا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكائيل.

٢- أن الله عدو لهم بكفرهم.

٣- أن كل كافر فالله عدو له.

قواعد في الضمير:

١- الأصل عود الضمير للمتحدث عنه.

كقوله تعالىٰ: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [سورة إبراهيم:٣٤]، والمتحدث عنه المضاف، لا المضاف إليه، وكقوله: ﴿لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ﴾ [سورة الأنعام:١٤٥]؛ أي اللحم، وقوله: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ﴾ [سورة العنكبوت:٢٧] ، مرجع الضمير فيها إلىٰ إبراهيم، وليس إلىٰ يعقوب.

٢- الأصل اتحاد مرجع الضمائر إذا تعددت.

كقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ﴿٦﴾ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴿٧﴾ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴿٨﴾﴾ [سورة العاديات:٦-٨] ، فالضمير في الآية الثانية يعود للإنسان لا لله، كالضمير في الآية الأولىٰ والثالثة.

وقد يخالف هذا الأصل لدليل، كقوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَسۡتَفۡتِ فِيهِم مِّنۡهُمۡ أَحَدٗا ٢٢﴾ [سورة الكهف:٢٢]، فيهم أي أهل الكهف، ومنهم أي أهل الكتاب، وقوله: ﴿ سِيٓءَ بِهِمۡ وَضَاقَ بِهِمۡ ﴾ [سورة هود:٧٧]، الضمير الأول أي قومه، والثاني أي أضيافه.

٣- الأصل عود الضمير إلىٰ أقرب مذكور.

كقوله تعالىٰ: ﴿وَءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلۡنَٰهُ هُدٗى لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴾ [سورة الإسراء:٢]؛ أي الكتاب لا موسىٰ، وقوله تعالىٰ: ﴿فَنَادَىٰهَا مِن تَحۡتِهَآ أَلَّا تَحۡزَنِي﴾ [سورة مريم:٢٤]؛ أي عيسىٰ لا جبريل علىٰ الصحيح؛ لكونه أقرب مذكور، ولقاعدة اتحاد الضمائر في قوله: ﴿فَحَمَلَتۡهُ فَٱنتَبَذَتۡ بِهِۦ﴾ [سورة مريم:٢٢].

٤- إذا احتمل الضمير أكثر من مرجع، وأمكن الجمع بينهما حُمِل عليها جميعًا.

كقوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا فَمُلَٰقِيهِ ٦﴾ [سورة الانشقاق:٦]، قيل: يعود إلىٰ الكدح، وقيل: للرب، ولا حرج من القول بهما.





الالتفات في القرآن

معنى الالتفات:

الالتفات: هو تحويل أسلوب الكلام من وجه إلىٰ آخر، وله صور منها:

أ- تغير الضمائر:

۞ كالالتفات من الغيبة إلىٰ الخطاب، كقوله تعالىٰ: ﴿وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ۝٣﴾ [سورة هود:٣]، فحوّل الكلام من الغيبة إلىٰ الخطاب في قوله: ﴿عَلَيْكُمْ﴾.

۞ كالالتفات من الخطاب إلىٰ الغيبة، كقوله تعالىٰ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم﴾ [سورة يونس:٢٢] فحوّل الكلام من الخطاب إلىٰ الغيبة بقوله: ﴿وَجَرَيْنَ بِهِم﴾ [سورة يونس:٢٢].

۞ الالتفات من الغيبة إلىٰ التكلم، كقوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾ [سورة المائدة:١٢] فحوّل الكلام من الغيبة إلىٰ التكلم في قوله: ﴿وَبَعَثْنَا﴾ [سورة المائدة:١٢].

ب- تغير الفعل من الفعل المضارع إلىٰ الماضي، أو العكس:

۞ كقوله تعالىٰ: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [سورة النمل:٨٧]

ج- تغير الاسم من المفرد إلىٰ الجمع، أو العكس:

۞ كقوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ [سورة الطلاق:١].

وللالتفات فوائد، منها:

دفع السآمة والملل، وحمل المخاطب علىٰ الانتباه؛ لتغير الأسلوب عليه، ثم حمله علىٰ التفكير في المعنىٰ؛ لأن تغيير الأسلوب يؤدي إلىٰ التفكير في السبب، وقد يكون ثمة فوائد أخرىٰ يقتضيها السياق.





أمثال القرآن

معنى المثل:

المـثل لغةً: هو الشبيه والنظير.

واصطلاحًا: قول عجيب، شُـبِّه مضربه بمورده لفائدة.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه (الأمثال في القرآن): « هي تشبيه شيء بشيء في حكمه، وتقريب المعقول من المحسوس، أو أحد المحسوسين من الآخر، واعتبار أحدهما بالآخر ».

ومثال ذلك قول الله تعالىٰ: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلۡعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتۡ بَيۡتٗاۖ وَإِنَّ أَوۡهَنَ ٱلۡبُيُوتِ لَبَيۡتُ ٱلۡعَنكَبُوتِۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ٤١ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٤٢ وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِۖ وَمَا يَعۡقِلُهَآ إِلَّا ٱلۡعَٰلِمُونَ ٤٣﴾ [سورة العنكبوت: ٤١-٤٣].

ففي هذه الآيات مثَّـل الله سبحانه ما يرجوه المشرك من نفع آلهته عند حصول الضراء، وهو المعنىٰ المعقول، ببيت العنكبوت الذي لا يغني عن ساكنه شيئًا عند حصول الضراء، وهو المعنىٰ المحسوس.

وفي قوله تعالىٰ: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا رَّجُلٗا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلٗا سَلَمٗا لِّرَجُلٍ هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلًاۚ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٢٩﴾ [سورة الزمر: ٢٩].

ضرب مثل المشرك بالله، وهو معنىٰ محسوس، بالعبد الذي يملكه شركاء متشاكسون مختلفون لا يبقىٰ معهم في راحة وسكينة، وهو معنىٰ محسوس أوضح

عندهم، والموحّد الذي لا يشرك بالله بالعبد الذي لا يملكه إلا رجل واحد، عرف مقصوده، وحصلت له الراحة والسكينة في خدمته.

أنواع الأمثال:

۞ والأمثال ثلاثة أنواع:

١- أمثال مصرحة: وهي ما ذُكِرَ فيه لفظ المثل، أو ما يدل علىٰ التشبيه.

ومثالها قوله تعالىٰ: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾﴾ [سورة البقرة:١٧] ، فقوله تعالىٰ: ﴿ كَمَثَلِ ﴾ ذُكِرَ لفظ المثل، وأداة التشبيه.

ومثال الاكتفاء بالتشبيه: قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا﴾ [سورة النور:٣٩].

٢- أمثال كامنة: وهي ما فيها معنىٰ التشبيه أو المثل.

ومثالها قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾﴾ [سورة الإسراء:٢٩] ، فلم يذكر لفظ المثل ولا أداة التشبيه، لكن فُهم تشبيه البخيل بمن غلَّ يده إلىٰ عنقه، والمسرف بمن بسطها كل البسط.

٣- الأمثال المرسلة: وهي التي لم تُشعر بتشبيه، لكنها جرتْ مجرىٰ الأمثال السائرة.

ومن أمثلته: ﴿ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ﴾ [سورة يوسف:٥١] ، ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ﴿٦﴾﴾ [سورة الكافرون:٦] ، وقوله: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾﴾ [سورة الرحمن:٦٠] ، فلم يذكر فيها لفظ الشبه ولا المثل، ولا يوجد فيها معنىٰ التشبيه، لكنها من قوة معناها أجراها الناس مجرىٰ الأمثال، فيطلقونها فيما يشبهها من الأفعال.

مسألة: هل يجوز أن يستعمل الإنسان في بعض مواقفه أمثال القرآن؟

كأن يأتي عنده شخص، فيقول له: (جئت علىٰ قدر يا موسىٰ)، ونحو ذلك.

اختلف العلماء في ذلك بين مجيز ومانع، ومنهم من فصّل في الجواب، فإن كان في حالة جدل، فأتىٰ به كالمستدل به جاز، وإن كان في موضع هزل ومزاح لم يجز، والله أعـلم.

فوائد ضرب المثل:

من فائدة ضرب الأمثال:

١- قوة البيان في تقريب المعاني وتصويرها، وإبراز المعقول في صورة المحسوس.

٢- ما يتصف به المثل من كونه أوقع في النفس، وأبلغ في الوعظ، وأوجز في العبارة، وأقوم في الإقناع.

٣- حصول ما يراد به من المبالغة في الترغيب أو التنفير أو المدح.



جدل القرآن

معنى الجدل:

الجدل: هو المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة لإلزام الخصم.

وهو من طبيعة الإنسان، قال تعالى: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾﴾ [سورة الكهف].

وجدل القرآن: هي أساليب المناظرة التي جاء بها القرآن؛ لإظهار الحقّ، وإقامة الحجّة على المخالفين.

قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ [سورة الفرقان:٣٣]، وأمر نبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يجادل المشركين بالطرق الحسنة، فقال: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ [سورة النحل:١٢٥].

ومن تلك الأساليب والبراهين التي استعملها القرآن الكريم:

١- الاستدلال بقياس الأولى، كقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِىَ ٱلْمَوْتَىٰ ۚ﴾ [سورة الأحقاف:٣٣].

٢- الاستدلال بالسّبر والتّقسيم، فتحصر الأوصاف، ثم يبطل منها ما لا يصلح للتعليل، كقوله تعالى: ﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ۖ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ ۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۖ نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٤٣﴾ وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ ۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۖ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَا ۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٤﴾﴾ [سورة الأنعام:١٤٣-١٤٤].

قال ابن سعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « وهذه الأنعام التي امتن الله بها علىٰ عباده، وجعلها كلها حلالًا طيبًا، فصَّلها بأنها: ﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزۡوَٰجٖۖ مِّنَ ٱلضَّأۡنِ ٱثۡنَيۡنِ﴾ [سورة الأنعام:١٤٣]: ذكر وأنثىٰ، ﴿وَمِنَ ٱلۡمَعۡزِ ٱثۡنَيۡنِۗ﴾ [سورة الأنعام:١٤٣] كذلك، فهذه أربعة، كلها داخلة فيما أحل الله، لا فرق بين شيء منها، فقل لهؤلاء المتكلّفين الذين يحرّمون منها شيئًا دون شيء، أو يحرمون بعضها علىٰ الإناث دون الذكور، ملزمًا لهم بعدم وجود الفرق بين ما أباحوا منها وحرموا: ﴿ءَآلذَّكَرَيۡنِ﴾ من الضأن والمعز ﴿ حَرَّمَ ﴾ الله، فلستم تقولون بذلك وتطردونه، ﴿ أَمِ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ ﴾ حرّم الله من الضأن والمعز، فليس هذا قولكم، لا تحريم الذكور الخلص، ولا الإناث الخلّص من الصنفين، بقي إذا كان الرحم مشتملًا علىٰ ذكر وأنثىٰ، أو علىٰ مجهول فقال: ﴿أَمِ﴾ تحرّمون ﴿أَمَّا ٱشۡتَمَلَتۡ عَلَيۡهِ أَرۡحَامُ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ﴾ أي: أنثىٰ الضأن وأنثىٰ المعز، من غير فرق بين ذكرٍ وأنثىٰ، فلستم تقولون أيضًا بهذا القول، فإذا كنتم لا تقولون بأحد هذه الأقوال الثلاثة التي حصرتِ الأقسام الممكنة في ذلك، فإلىٰ أيّ شيء تذهبون؟ ﴿نَبِّـُٔونِي بِعِلۡمٍ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١٤٣﴾ [سورة الأنعام:١٤٣] في قولكم ودعواكم، ومن المعلوم أنهم لا يمكنهم أن يقولوا قولًا سائغًا في العقل إلا واحدًا من هذه الأمور الثلاثة، وهم لا يقولون بشيء منها ».

٣- إلزام المخاطب بما هو مسلّم عنده، حتّىٰ يعترف بما ينكره؛ كقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ إِذۡ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٖ مِّن شَيۡءٖۗ قُلۡ مَنۡ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِي جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورٗا وَهُدٗى لِّلنَّاسِ تَجۡعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبۡدُونَهَا وَتُخۡفُونَ كَثِيرٗاۚ وَعُلِّمۡتُم مَّا لَمۡ تَعۡلَمُوٓاْ أَنتُمۡ وَلَآ ءَابَآؤُكُمۡۖ قُلِ ٱللَّهُۖ ثُمَّ ذَرۡهُمۡ فِي خَوۡضِهِمۡ يَلۡعَبُونَ ٩١﴾ [سورة الأنعام:٩١].

٤- إلزام المخاطب بما تقتضيه العقول، كقوله تعالىٰ: ﴿لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ﴾ [سورة الأنبياء:٢٢] ، أي: لفسد واختلّ نظامهما، والسّماوات والأرض لم تفسدا، فنتج عنه أنه ليس فيهما آلهة إلّا الله، وقد سُمي هذا الدليل بدليل التمانع.

٥- إلزام المخاطب بأن قوله يلزم منه ما لا يقول به، كقوله تعالىٰ: ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ ۖ وَخَرَقُوا۟ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٠٠﴾ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾﴾ [سورة الأنعام:١٠٠-١٠١] ، فيلزم من القول بأن لله سبحانه شركاءَ إنكارُ أن يكون خالق كل شيء، وهم يؤمنون بذلك.

٦- المطالبة بالبرهان علىٰ صحة الدعوىٰ، كقوله تعالىٰ: ﴿وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾﴾ [سورة البقرة:١١١].

٧- التحدي بإثبات صدق ما يدّعونه، كقوله تعالىٰ: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾﴾ [سورة الإسراء:٥٦].





مناهج المفسرين

شروط المفسر:

۞ من أبرز شروط المفسر:

١- سلامة المعتقد، وصحّة المقصد، والتجرّد من الهوىٰ.

٢- التّحرّي والتّثبّت في النقل، فلا يقبل إلا ما صحّ.

٣- التمييز بين القوي والضعيف من أقوال المفسرين، وذلك بأن يكون ملمًّا بعلم أصول التفسير والفقه، وعلوم اللغة.

قال أحمد بن حنبل: ثلاثة كتب ليس لها أصول: المغازي، والملاحم، والتّفسير، وقال عبد الرحمن بن مهدي: لا يجوز أن يكون الرجل إمامًا حتىٰ يعلم ما يصح مما لا يصح، وحتىٰ لا يحتج بكل شيء، وحتىٰ يعلم مخارج العلم.

مدارس الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ في التفسير:

۞ المشتهرون بالتفسير من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ:

١- علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

وقد دعا له النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما بعثه إلىٰ اليمن فقال: «**اللهم ثبّت لسانه، واهدِ قلبه**» أخرجه أحمد، وقال ابن عباس: إذا جاء الثَّبْتُ عن علي لم نعدل به غيره.

وقد كثر الوضع عليه، ومن أصح الأسانيد إليه: ما رواه الربيع بن أنس عن أبي العالية عنه.

٢- عبدالله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

مدحه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقوله: «**من سرّه أن يقرأ القرآن غضًّا كما أنزل، فليقرأه علىٰ قراءة ابن أم عبد**» أخرجه أحمد وابن ماجه، وقال هو عن نفسه: «أخذتُ سبعين سورة من فِي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»، وليس علمه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في القراءة فقط، بل وفي التفسير، فإنه قد قال عن نفسه: «والله الذي لا إله غيره، ما أنزلت سورة من كتاب الله إلا أنا أعلم أين أنزلت، ولا أنزلت آية من كتاب الله إلا أنا أعلم فيمَ أنزلت، ولو أعلم أحدًا أعلم مني بكتاب الله، تبلغه الإبل لركبتُ إليه» متفق عليه.

ومدرسته التي أخذت منه هي مدرسة الكوفة في التفسير، ومن أشهر تلاميذها: علقمة بن قيس النخعي، والأسود بن يزيد النخعي، ومسروق، والحسن البصري، والشعبي، ومُرّة الهمداني، وتخرّج عليهم قتادة.

وأصح الأسانيد إلىٰ ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: طريق الأعمش عن أبي الضحىٰ عن مسروق عن ابن مسعود، وهو الإسناد الذي اعتمده الإمام البخاري في صحيحه.

٣- عبدالله ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا:

يكفيه أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد دعا الله أن يعلمه التأويل؛ أي التفسير، فقال: «**اللهم فقهه في الدين، وعلمه التأويل**» أخرجه أحمد، وكان ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يلقب ابن عباس بترجمان القرآن، وقد جمع ابن عباس علم التفسير من الصحابة رضوان الله عليهم؛ خصوصًا من عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ومدرسته التي تخرجت علىٰ يديه في التفسير هي مدرسة مكة، ومن أشهر تلاميذها: مجاهد الذي قرأ القرآن من فاتحته إلىٰ خاتمته علىٰ ابن عباس ثلاث مرات، يُوقفه عند كل آية، ويسأله عنها، وكذا سعيد بن جبير، وعكرمة، وطاوس، وعطاء بن أبي رباح.

وقد أخذ عن مسلمي أهل الكتاب، وأكثر في تفسيره من الاستشهاد بأشعار العرب، وكَثُر الوضع عليه، وقدَّمه علىٰ غيره من الصحابة في التفسير كثيرٌ من أهل العلم، كالزركشي في (البرهان)، والسيوطي في (الإتقان).

وأصح الأسانيد إلىٰ ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: طريق معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، علىٰ أن هناك سقطًا بين علي بن أبي طلحة وابن عباس، لكن ذكر ابن حجر أنه مجاهد أو سعيد بن جبير، وكلاهما ثقة، وهو الإسناد الذي اعتمده الإمام أحمد، والإمام البخاري.

ومن الروايات الضعيفة عن ابن عباس: رواية الضحاك عنه، وعطية العوفي عنه، ومقاتل عنه، ومن أضعفها، بل قد وصفت بالوضع: رواية محمد بن السائب الكلبي عن أبي صالح عنه، وأما روايات ابن جريج عن ابن عباس ففيها ما صح، وفيها ما لم يصحّ.

٤- أُبي بن كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

مدحه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال: «**أرحم أمتي أبو بكر ... وأقرؤها لكتاب الله أُبيّ**» أخرجه أحمد وابن ماجه، بل قد أمر الله تعالىٰ نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يقرأ عليه سورة البينة، وليس علمه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في القراءة فقط، بل وفي التفسير، فقد أخرج مسلم قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ له: «**يا أبا المنذر، أتدري أيّ آية من كتاب الله معك أعظم؟**» قال: قلت: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾ [سورة البقرة:٢٥٥]، قال: فضرب في صدري، وقال: «**والله ليهنك العلم أبا المنذر**».

ومدرسته التي تخرجتْ عليه في التفسير هي مدرسة المدينة، ومن أشهر تلاميذها: أبو العالية، ومحمد بن كعب القرظي، وزيد بن أسلم.

وأصح الأسانيد إلىٰ أبيّ بن كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ طريق أبي جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي بن كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ومن المكثرين في التفسير أيضًا من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ: الخلفاء الأربعة، وزيد بن ثابت، وأبو موسىٰ الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

ومن المقلين فيما نقل عنهم من التفسير مع كثرة ما رووه من الحديث: عائشة، وجابر، وابن عمر، وأبو هريرة، وأنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

الإسرائيليات:

۞ معنىٰ الإسرائيليات:

الإسرائيليات: هي ما ورد في كتب التفسير من النقل عن اليهود أو النصارىٰ مما يتعلق بتفسير الآيات.

وأقطاب الروايات الإسرائيلية أربعة:

١- **عبد الله بن سلام الأنصاري** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

أبو يوسف، كان من أحبار اليهود، ثم أسلم، ويروي عنه ابناه محمد ويوسف، وروىٰ عنه أبو هريرة، وروىٰ عنه ابن جرير في تفسيره، واعتمده البخاري.

٢- **كعب الأحبار:**

وهو كعب بن ماتع الحميري الصنعاني، أبو إسحاق، أصله من يهود اليمن، روىٰ عنه أبو هريرة وابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، واعتمده مسلم، وأخرج له أبو داود والترمذي.

٣- **وهب بن منبه بن كيسان اليماني:**

أبو عبد الله، جمع علم عبد الله بن سلام وكعب الأحبار، ضعّفه الفلّاس، ووثقه النسائي وأبو زرعة، وقد روىٰ عنه البخاري في صحيحه.

٤- ابن جُريج:

هو عبد الملك بن عبد العزيز، أبو خالد، وقيل: أبو الوليد، أصله رومي نصراني، روىٰ عنه ابناه محمد وعبد العزيز، وروىٰ عنه الأوزاعي، واعتمده ابن جرير في نقل حكايات النصارىٰ.

حكم الإسرائيليات:

۞ **الإسرائيليات علىٰ ثلاثة أقسام:**

١- ما شهد الشرع بصدقه: فهذا يُقبل، ومثاله: ما أخرجه الشيخان من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن يهوديًّا جاء إلىٰ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال: يا محمد، إن الله يمسك السموات علىٰ إصبع، والأرضين علىٰ إصبع، والجبال علىٰ إصبع، والشجر علىٰ إصبع، والخلائق علىٰ إصبع، ثم يقول: أنا الملك، فضحك رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتىٰ بدتْ نواجذه، ثم قرأ: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ [سورة الأنعام:٩١].

٢- ما شهد الشرع بكذبه: فهذا يُردّ، ومثاله: ما رواه الشيخان عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كانت اليهود تقول إذا جامعَها مِن ورائها، جاء الولد أحول، فنزلت: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ [سورة البقرة:٢٢٣].

٣- ما لم يردْ في الشرع الخبر بتصديقه أو تكذيبه، فحكمه:

۞ أن يتوقف في صحته، ولا يُفَسَّر القرآن به؛ لحديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**لا تصدقوا أهل الكتاب، ولا تكذبوهم، وقولوا:** ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ﴾ [سورة البقرة:١٣٦] **الآية**» أخرجه البخاري.

۞ ويجوز التحديث به؛ لحديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**بلّغوا عني ولو آية، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، ومن كذب عليّ متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار**» أخرجه البخاري.

۞ وهل يجوز سؤالهم؟ قيل: لا؛ لحديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء، فإنهم لن يَهدوكم وقد ضلوا، فإنكم إما أن تصدقوا بباطل، أو تكذبوا بحق، فإنه لو كان موسىٰ حيًّا بين أظهركم، ما حلَّ له إلا أن يتبعني**» أخرجه أحمد، وفيه ضعف، وقيل: يجوز، ومنه سؤالات ابن عباس لأبي الجلد، وإنما كان النهي قبل أن يستقر الشرع، وكذا احتكام ابن عباس ومعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لكعب الأحبار؛ لكونه كان مسلمًا، وليس علىٰ اليهودية.

مواقف المفسرين من الإسرائيليات:

۞ **تعددت مواقف المفسرين من الإسرائيليات:**

١- فمنهم من نقلها بسندها، كابن جرير.

٢- ومنهم من نقلها دون ذكر سندها، ودون بيان حكمها، كالبغوي.

٣- ومنهم من نقل كثيرًا منها، وتعقب بعضها، كابن كثير.

٤- ومنهم من لم ينقل منها شيئًا، كمحمد رشيد رضا.

التفسير في عهد التدوين:

۞ **مرّ تدوين التفسير بثلاث مراحل:**

الأولىٰ: مرحلة تدوين التفسير في أبواب مخصوصة، ولم يُفسَّر فيها القرآن كاملًا.

ومن أشهر التفاسير في هذه المرحلة:

- صحيفة علي بن أبي طلحة عن ابن عباس.

- وتفسير شعبة بن الحجاج، ووكيع بن الجرَّاح، وعبدُ بن حميد.

الثانية: مرحلة تفسير القرآن آية آية، والاعتماد في ذلك علىٰ الآثار، وهو ما يُعرف بالتفسير المأثور.

۞ **ومن أشهر التفاسير في هذه المرحلة:**

- تفسير عبد الرزاق، وابن ماجه، وابن أبي حاتم، وابن مردويه.

- تفسير الدُّر المنثور، للسيوطي، وهو اختصار لتفسيره ترجمان القرآن؛ حيث حذف الأسانيد، واكتفىٰ بالعزو للمخرجين.

الثالثة: مرحلة تفسير القرآن بالرأي: وفيها ظهرت مناهج المفسرين، واختلفت من جهة اختلاف علومهم، وعقائدهم.

مناهج المفسرين:

۞ **للمفسرين مناهج، أشهرها ما يأتي:**

الأول: التفسير السلفي:

- وهو يعتمد علىٰ التفسير بالقرآن، ثم بالسنة، ثم بأقوال الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ والتابعين رَحِمَهُمُ اللَّهُ.

- وينتبه فيه مما يُذكر فيه من الإسرائيليات، و ما لا يصح من الأسانيد.

- **ومن أشهر كتبه:**

١- جامع البيان في تأويل القرآن، لابن جرير الطبري، وقد حققه أحمد ومحمود شاكر، وبلغا الآية السابعة والعشرين من سورة إبراهيم، ولم يتماه، وحُقّق كاملًا في ستة وعشرين مجلدًا بإشراف الدكتور عبدالله التركي.

٢- تفسير القرآن العظيم، لابن كثير.

٣- أضواء البيان، للشنقيطي، بلغ إلىٰ سورة المجادلة، ثم أكمله تلميذه عطية محمد سالم إلىٰ آخر القرآن.

الثاني: التفسير بالرأي المذموم:

- وهو يعتمد علىٰ الاجتهاد العقلي في تفسير آيات القرآن، مع تأثر المفسر بعقيدته المبتدعة في تفسيره للقرآن الكريم.

- **ومن أشهر كتبه:**

١- تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، للزمخشري، وهو من تفاسير المعتزلة، وطُبعت بحاشيته رسالة الانتصاف علىٰ الكشاف، لابن الْمُنيِّر، واجتهد في تبيين ما فيه من اعتزال.

٢- تفسير مفاتيح الغيب، أو ما يُعرف بـ التفسير الكبير، للرازي، وهو من تفاسير الأشاعرة، قيل: لم يتمه، وإنما بلغ إلىٰ سورة الأنبـياء، وأكمله بعده تلميذاه الخوبي والقُمُّولي.

٣- تفسير مجمع البيان، للطبرسي، وهو من تفاسير الرافضة.

٤- تفسير هميان الزاد إلىٰ دار المعاد، لمحمد يوسف أطفيش، وهو من تفاسير الخوارج.

٥- تفسير حقائق التفاسير، لأبي عبد الرحمن السلمي، وهو من تفاسير الصوفية.

٦- تفسير الفارابي، وهو من تفاسير الفلاسفة.

الثالث: المنهج الفقهي:

ويعتمد علىٰ تفسير آيات الأحكام، ودخله التأثر بالمذاهب الفقهية.

- **ومن أشهر كتبه:**

١- أحكام القرآن، للجصاص الحنفي.

٢- أحكام القرآن، لابن العربي المالكي.

٣- الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي المالكي.

٤- أحكام القرآن، للكيا الهراسي الشافعي.

٥- تفسير آيات الأحكام، لعبد الله منكابو الحنبلي.

الرابع: المنهج العلمي:

- ويعتمد علىٰ تفسير القرآن بالحقائق والنظريات المعاصرة، ودخله التكلف، والتأثر بمقالات الغربيين.

- ومن أشهر كتبه: جواهر القرآن، لطنطاوي جوهري.

الخامس: المنهج الاجتماعي:

- ويعتمد علىٰ محاولة حلّ المشكلات الاجتماعية من خلال الرؤىٰ القرآنية.

- **ومن أشهر كتبه:**

١- تفسير المنار، لمحمد رشيد رضا، وأوله إلىٰ سورة النساء الآية (١٢٥) من تقريرات شيخه محمد عبده، ثم أتمه محمد رشيد رضا إلىٰ سورة يوسف الآية (١٠١)، ثم أكمل السورة محمد بهجت البيطار.

٢- تفسير المراغي، لمصطفىٰ المراغي.

السادس: المنهج البياني:

- ويعتمد علىٰ إظهار بلاغة القرآن، وجماله اللفظي، والإكثار من الخوض في المباحث اللغوية.

- **ومن أشهر كتبه:**

١- في الاتجاه اللغوي: معاني القرآن للفراء، ومجاز القرآن لأبي عبيدة، والمحرر الوجيز لابن عطية.

٢- في الاتجاه النّحوي: البحر المحيط لأبي حيان، والدر المصون للسمين الحلبي.

٣- في الاتجاه البلاغي: الكشاف للزمخشري، والتحرير والتنوير لابن عاشور.

- ومنه ما يعتمد علىٰ التذوق الأدبي بعرض السورة كوحدة واحدة، كتفسير سيد قطب في ظلال القرآن.

تمّ الكتاب، والحمد لله رب العالمين.

فهرس الكتاب

التعريف بعلم (علوم القرآن)..... ٦
نشأة علم (علوم القرآن) ٧
معنى القرآن والوحي..... ١٠
وعقيدة أهل السنة والجماعة في القرآن ١٢
أسماء القرآن وصفاته وعظمته ١٣
آداب تتعلق بالقرآن الكريم..... ١٤
معنى الوحي ١٤
كيفية نزول الوحي ١٥
صفة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا نزل عليه الوحي ١٧
نزول القرآن..... ١٩
كيفية نزول القرآن الكريم ١٩
الحكمة من نزول القرآن مفرّقًا ٢٠
وصف أمين الوحي جبريل ٢١
أول ما نزل من القرآن ٢١
آخر ما نزل من القرآن ٢٣
نزول القرآن على سبعة أحرف ٢٤
أسباب النزول..... ٢٨
تعريف سبب النزول ٢٨

المؤلفات في أسباب النزول ٢٨
فوائد أسباب النزول ٢٩
ألفاظ أسباب النزول ٣١
قواعد في أسباب النزول ٣٢
المكيّ والمدنيّ ٣٧
معنى المكي والمدني ٣٧
مميزات وضوابط المكي والمدني ٣٨
فوائد معرفة المكي والمدني ٤٠
السور المكية والمدنية ٤٠
الآيات والسور وترتيبها ٤٤
كيف تحدد الآية؟ ٤٥
اختلاف العلماء في عدّ الآيات ٤٥
فوائد معرفة عدّ الآيات ٤٦
ترتيب آيات القرآن ٤٧
معنى السورة ٤٨
ترتيب السور ٤٨
أسماء السور ٥٢
وقد تسمى السورة بطرق منها ٥٣
موضوعات السور ٥٤
عدد الآيات والسور ٥٤

جمع القرآن الكريم..... ٥٦
المرحلة الأولى الجمع في عهد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ٥٦
المرحلة الثانية الجمع في عهد أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ٥٦
المرحلة الثالثة الجمع في عهد عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ٥٨
واختلف أهل العلم هل اشتمل جمع عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ للقرآن على الأحرف السبعة؟..... ٥٨
الفروق بين الجمعين ٦٠
شبه حول جمع القرآن الكريم، والجواب عنها ٦٠
كتابة المصحف والرسم العثماني..... ٦٤
حكم الرسم العثماني ٦٥
نقط القرآن ٦٧
حكم نقط المصحف ٦٨
تحزيب المصحف ٦٨
القراءات والقرّاء السبعة..... ٧٠
تعريف علم القراءات ٧٠
نشأة القراءات ٧٠
شروط القراءة ٧١
مسميات علم القراءات ٧٢
فوائد تعدد القراءات ٧٣
المؤلفات في علم القراءات ٧٣

التفسير معناه وحكمه ٧٥
معنى التفسير ٧٥
وما الفرق بين التفسير والتأويل؟..... ٧٥
حكم علم التفسير ٧٦
أقسام التفسير من حيث معرفة معانيه ٧٧
هل بيّن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأصحابه جميع القران؟ ٧٨
ترجمة القرآن ٧٨
حكم ترجمة القرآن ٧٩
المحكم والمتشابه..... ٨٠
معنى المحكم والمتشابه ٨٠
أقسام المتشابه ٨٢
الحكمة من وجود المتشابه في القرآن ٨٢
طرق التفسير (١) تفسير القرآن بالقرآن..... ٨٣
أنواع التفسير بالقرآن ٨٥
من طرق التفسير (٢) تفسير القرآن بالسنة..... ٨٧
تفسير النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للقرآن حجة يجب الأخذ بها، يوضح هذا أمور ٨٧
طرق تفسير القرآن بالسنة ٨٧
حكم هذه الطرق ٩٠
أنواع التفسير بالسنة ٩٠
من طرق التفسير (٣) تفسير القرآن بآثار الصحابة..... ٩٢

معنى الصحابي، وحكم تفسيره ٩٢
وتفسير الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ حجة لما يأتي ٩٢
حكم تفسير الصحابي ٩٤
من طرق التفسير (٤) تفسير القرآن بآثار التابعين ٩٥
معنى التابعي ٩٥
حكم تفسير التابعين ٩٥
المسألة الأولى هل يجوز إحداث قول جديد، لم يقله السلف الصالح من الصحابة والتابعين وأتباعهم؟ ٩٦
المسألة الثانية هل يشترط لقبول أسانيد التفسير أن تصحّ كأسانيد الحديث؟ ٩٧
من طرق التفسير (٥) تفسير القرآن باللغة ٩٨
مفهوم تفسير القرآن باللغة ٩٨
معرفة معنى المفردة القرآنية ٩٨
حكم تفسير القرآن باللغة ٩٩
ومن قواعد التفسير باللغة ١٠٠
أنواع اختلاف المفسرين ١٠٢
الإجماع في التفسير ١٠٣
أنواع الإجماع في التفسير ١٠٤
القسم الثاني اختلاف التضاد ١٠٤
دفع التعارض عن آي القرآن الكريم ١٠٨
معنى التعارض ١٠٨

مسالك دفع التعارض ١٠٩
دفع الترادف بين ألفاظ القرآن ١١٢
هل يوجد ترادف بين ألفاظ القرآن الكريم؟ ١١٢
مسالك دفع الترادف ١١٢
إعجاز القرآن ١١٥
معنى الإعجاز ١١٥
أنواع الإعجاز ١١٥
أقسام القرآن ١١٧
معنى القسم ١١٧
فوائد القسم ١١٧
أركان القسم ١١٧
قواعد في القسم ١١٨
قصص القرآن الكريم ١٢٠
معنى القصص ١٢٠
أنواع القصص القرآني ١٢٠
فوائد ذكر القصص في القرآن الكريم ١٢٠
الحكمة من تكرر القصة القرآنية ١٢١
قواعد في القصص القرآني ١٢١
الضمائر في القرآن ١٢٣
معنى الضمير ١٢٣

وفائدة الضمير ١٢٤
قواعد في الضمير ١٢٥
الالتفات في القرآن ١٢٧
معنى الالتفات ١٢٧
فوائد الإلتفات ١٢٨
أمثال القرآن ١٢٩
معنى المثل ١٢٩
أنواع الأمثال ١٣٠
فوائد ضرب المثل ١٣١
جدل القرآن ١٣٢
معنى الجدل ١٣٢
الأساليب والبراهين التي استعملها القرآن الكريم ١٣٢
مناهج المفسرين ١٣٥
شروط المفسر ١٣٥
مدارس الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ في التفسير ١٣٥
الإسرائيليات ١٣٨
وأقطاب الروايات الإسرائيلية أربعة ١٣٨
حكم الإسرائيليات ١٣٩
مواقف المفسرين من الإسرائيليات ١٤٠
التفسير في عهد التدوين ١٤٠

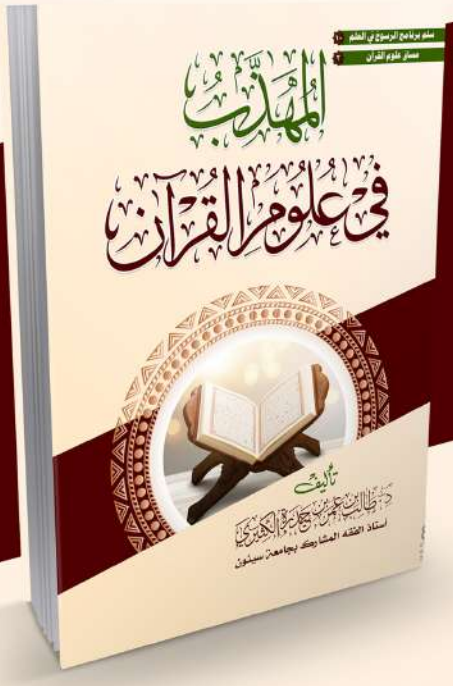
مناهج المفسرين ١٤١
فهرس الكتاب..... ١٤٥

د/ طالب بن عمر بن حيدرة الكثيري

المنهجية في التدريس

متـن علمي في تلخيص أساس العلم ولبابه
ومتـن في تقريـر حقيقـة العلـم ومصطلحاتـه
ثم متـن في توضيح قواعد وضوابط العلم وتطبيقاته
ثم متـن في شرح مسائل العلم وبيان خلاف العلماء فيه

@blagh1434Talebkh
t.me/talebkh1
www.talebkh.net
طالب بن عمر الكثيري



جاء هذا الكتاب ليجمع المهمَ من مباحث ومسائل علوم القرآن مبيّنًا لقواعده بالأمثلة الواضحة، ومجليًا للخلاف في مسائله بالأدلة الظاهرة جمعته قصدًا لجمع شتات ما تفرّق من هذا العلم في كتب أهله؛ ليكون خلاصةً لما كتبوه وتحريرًا لما نثروه

وقد جعلتُه في آخر سلسلة الرسوخ في العلم، المتعلقة بسلم علوم القرآن وتجويده والله أسـأل أن ينفـع بـه، ويجعلـه له خالصًا، ولـي شافعًـا، ولعبـاده نافعًـا؛ إنه أقرب مسؤول، وأكرم مأمول